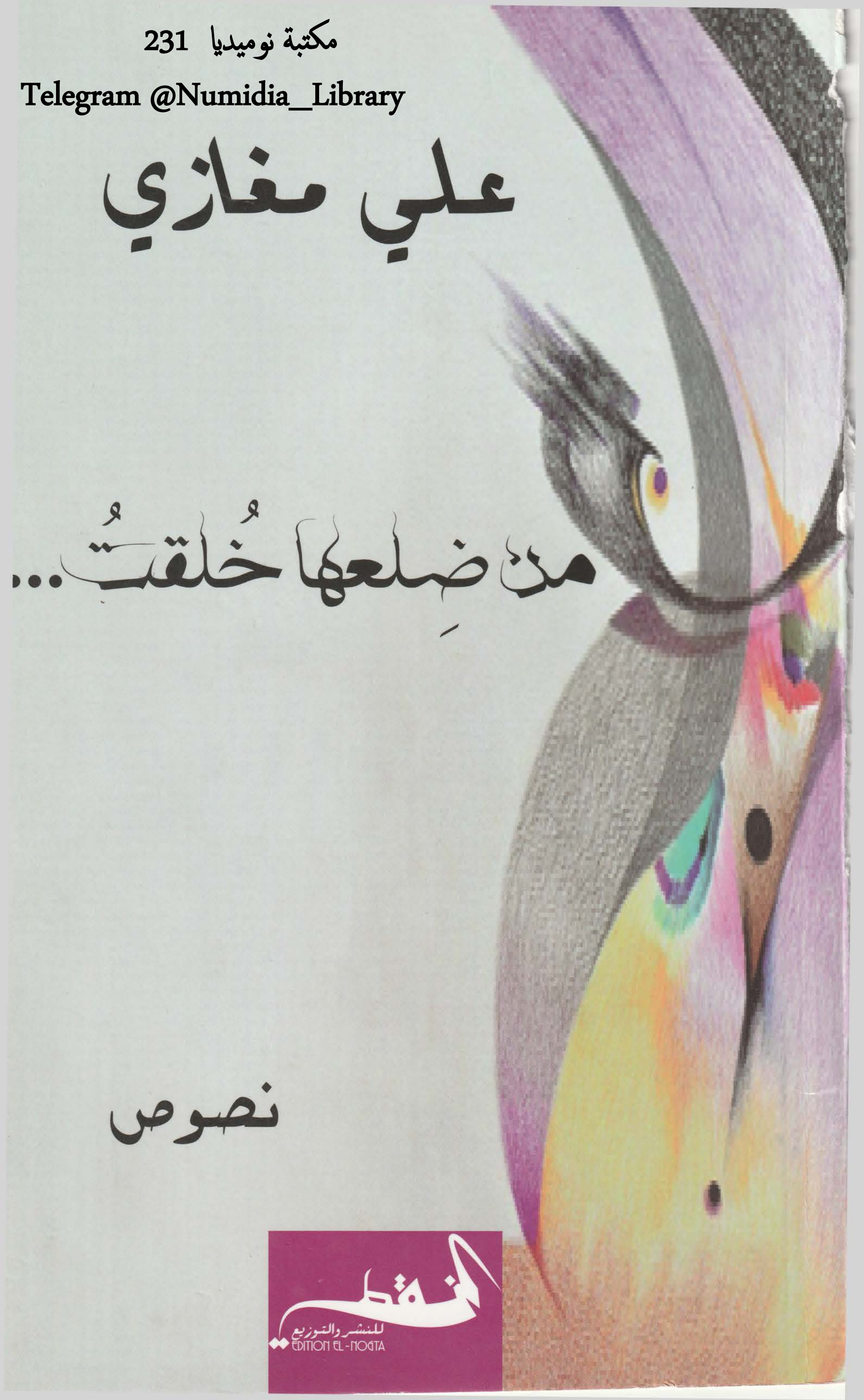


علي مغازي

من ضِلعها خُلقتُ...

نصوص

النقطة للنشر والتوزيع
EDITION EL-NOGTA

علي مغازي

من ضِلعها خُلقتُ..

نصوص لتأنيث الكون



عنوان الكتاب: من ضلعها خلقت

المؤلف: علي مغازي

الناشر: دار النقطة للنشر والتوزيع

تصميم وإخراج: الطيب لسلوس

السداسي الثاني 2016

ردمك: 978-9931-9274-6-4

علي مغازي

من ضِلعها خُلقتُ...

نصوص لتأنيث الكون



إهداء:

إلى حبيبة قلبي «بلقوسة»! ابنتي التي تضيء حياتي...

يا نساء بلادي توقفن عن البكاء، واعْلنّ انتصاركنّ للحياة التي لا تنتظر الموتى. احْذفن من صفحاتكن على موقع الـ«فيس بوك» (كما في يومياتكن)، تلك الصور الحمقاء التي تظهر فيها عيون دامعة وشفاه مدهونة بالشوكولا وخدود مطبوع عليها (علم البلاد).

احذفن المقولات الوردية الحالمة والكتابات الحريرية المنقطعة عن الواقع... واحذفن خطابات الشيوخ الدواعش وتلك القصائد البهلولة التي يلقيها شعراء المسلسلات التركية...

لا تتصرفن كـ:(خادمات، تابعات، قاصرات، خاملات، مذعنات، متباهيات بلعب دور الضحية...)... بل تصرفن كملكات.

يا نساء بلادي؛ إنكن الأجمل والأرقى والأذكى والأقوى والأحلى... فلا تسمحن لأحد بأن يمس شعرة من كرامتكن؛ افتحن النوافذ للهواء وللشمس وللأمل وأعدن للحياة دفئها...

هذا الوطن بحاجة لجمالكن وأنوثتكن وأمومتكن...

علي مغازي

●

وكلما سمعتُ
صوتَ اسْمِها التفتُّ..
كأنّني من ضلعها الأعوجِ قد خلقتُ..

●

«كلّ

مذبوحة؛

جُرْحُها خنجرُ»..

...

...

...

لا ينجذبُ كل الرجال لامرأة غارقة في الحزن، كما لا ينجذبون لامرأة غارقة في لعبة ابتذال الفرح. ربما يكون داخل جهة في قلب المرأة الحزينة طفلة حالمة، تمدّ يدها لضوء لا يمكن تحديد مصدره، ويتزامن هذا مع مجيء رجل هذّبت روحه العذابات، فيساعد الطفلة على مصافحة ضياء إذا أدركته شملت به من دلها عليه. وهكذا تكون هي من أنقذت منقذها؛ أقصد الطفلة الحالمة والرجل المعذب.

الحزن لدى بعض النساء هو فائض من الأنوثة لم يتمّ استيعابها بعد. والحزن لدى بعض الرجال هو طاقة حب لم يتم توظيفها..

وهكذا يكون التعبير عن الحزن أشبه ما يكون باللعب في حديقة خلفية تسمى؛ الكتابة.

رجال كانوا يتقاتلون من أجل النّساء؛
أحفادهم اليوم يقاتلون النّساء.

عندما يحبُّ رجلٌ امرأةً، عليه أن يكافح للغوص في أعماقها لإخراج كنوزها إلى السطح، حيث الشمس تضيء على الشاطئ، فإذا بقيَ (الرجل) داخل أعماقها صار جزءا من مكنوناتها كـ(تحفة) منسية في قاع المحيط.

بينما على المرأة ألا تتوقّع (مسبقا) أن غوّاصها العاشق سيعود منها حاملا كنوز الدنيا؛ يكفيه أن يجلب ذلك الصندوق الأسود، ثم يقوم مع حبيبته بفتحه وقراءة ما بداخله.

عند هذه اللحظة، تصبحُ المرأة هي بدورها غوّاصة عاشقة؛ ستبحر لاحقا ـ أيما إبحار ـ لتعيدَ تأثيث أعماق حبيبها.. وهكذا ينجو الاثنان ويذهبان كطفلين ليلعبا على الشاطئ ويطالعان كتاب:

[طعام،

صلاة،

حب]..(1)..

1) عنوان رواية نشرت عام 2006؛ في شكل مذكرات للكاتبة الأمريكية إليزابيث غيلبرت/ Elizabeth Gilbert.

النساء في بلادي يعشن داخل سجن كبير
هن حارساته.

...

...

عندما تبكين؛ تهبّ عشرات الأيدي لتربّت على كتفيك، وتشاركك عشرات العيون لحظة البكاء، وتغمرك عشرات الألسن بكلمات تعاطف دافئة.. بينما تمطرك السماء بشتى أنواع المناديل. لكن؛ في الجهة الأقل توقعا، ثمة إنسان يشملكِ بنظرة خاصة لا تعني سوى عبارة:

«إني أفهمك»..

أليس هذا ما كنتِ بحاجة إليه..!؟

...

هيا، اسْدلي الستار على هذا الفصل الدامع؛

«غدا نبدأ يوم جديد».

رجل في الماضي خسر ثروتَه من أجل امرأة؛ حفيده اليوم ربح ثروة من وراء امرأة.

تزوجي فكرةً،

ويكون هناك رجل ما،

في مكان ما؛

يتزوّج هو الآخر، فكرة أخرى.

إذا حدثَ أنّ فكرتَه وقعتْ في غرام فكرتك،

ستتزوج الفكرتان.

وهكذا...

يكون عليكما أن تتزوجا أنتما:

الرجل الذي في مكان ما وأنت.

بعض الرجال تفشل السلطة في ترويضهم وتنجح بعض النساء في ذلك...

...

...

اسمعْ؛

تَزوجْها ثم ابدأْ بتغييرها...

تَزوجْها؛

ثم اسْمحْ لها أن تغيرك...

أو... تزوجا؛

وليغيرْ كل منكما الآخر.

تزوجا؛

ولا تهتمّا بقضية التغيير هذه..

بل الأفضل؛ ألّا تتزوجا؛ فلْيحبّ كل منكما الآخر، ولْيدعْ كل منكما نفسه للآخر، سيحدث التغيير دون أن تنتبها، وستجدان نفسيكما متزوجين.

ثمة غموض في الرؤية يجعل الخط الافتتاحي
مختلا لدي؛ أرجوك اخلعي النظارة...

ليس بوسع العين أن تحفر ظلا في مساحة من البياض لا آخر لها ولا أول، وليس بوسع الذاكرة أن تستعيد ما لم يكن موجودا أصلا. هذا ما يعرفه الجميع. لكن هي، ولا تخشى أن يكذبها أحد، تدعي أن علاقتها بالأشياء وبالماضي وبالحياة عموما تعد مطلقة الحدود في خصوصيتها، إلى درجة تجعلها تعتقد ـ محقة ـ أن كل ما هو خارج عن ذاتها، إنما هو شاذ وغير مبرر أو بالأحرى لا وجود له، وبالتالي لا يستحق الالتفات إليه.

تقول هذا لأنها لا تستطيع أن تبتذل الإيمان بإرادة لا تستخلص شيئا من هذا العدم المفتوح على كل الجهات. لكن بالمقابل ـ وكم تخشى أن يصدقها أحد ـ تدعي أنها أحيانا تستريح من ثقل عصيانها الفاضح، فتهادن متخذة لنفسها أي دور، في أية لعبة مجانية، تجعلها تطمئن على رصيدها من القرائن الكافية لتحديد المسافة الممكنة بينها وبين من تسميهم سواها.. أي تطمئن على أنها لم تنسلخْ تماما بحيث تكون قادرة ـ القدرة السابقة لأوانها ـ على الوقوف وحيدة في مكان واحد، تتفرج على شارع لا أول ولا آخر له، يعبره كل الناس في موكب زفاف جنائزي غير مهيب أو ... فلتقل هي تعبر.وكل الناس يتفرجون على

ما تريد؛ مختزلين أنفسهم في صورتها التي ليست هي.

هي التي تستطيع تفسير كل هذا ولا تعتبره نوعا من الكذب على الذات، هكذا فكَّرتْ دائما حتى أثناء وقوفها عارية أمام جزئها الآخر منها الذي يعكس وجهة نظر منافية لقناعاتها تماما، وبالتالي فهي لا تتبناها. بل تفترض وجودها لتكسب اختياراتها كل المصداقية المطلوبة، وهذا ما لا يتحقق إلا لمن هم مثلها بهذه الدرجة من الوعي الفاحش بذواتهم، بحيث يستطيعون أن ينفصلوا عنها قليلا ليروا حقيقتهم بحياد تام وينصتوا إلى أعلى صوت في داخلهم يجهر بكلمته الأخيرة.

- وهي..؟

- هي تستطيع ذلك.. وتستطيع أن تلتقط لنفسها أسوأ صورة ما يمكن أن تكون عليها وتزايد في اقتراف مبررات إدانتها أكثر مما يستطيع خصومها..

- هل لديها خصوم؟

- كلا.. إنها فقط تستحضرهم افتراضيا وتلتمس كل الأعذار لهم بما يجعلهم يدلون بكامل حججهم ـ التي هي ضدها ـ لتشغل نفسها فيما بعد بالرد عليها وإبطالها دون أن تتلقى أية مساعدة ذهنية، فعقلها البالغ الصفاء والمرونة كفيل بذلك وستكون له الغلبة كما في كل مرة.

هاهي ذي تتحدث دون أدنى شعور باختلال الضمير، لأنها تكره أن يخِيبَ ظنُها في نفسها بسبب مغرورين قد تجمعها الظروف بهم أو تجمعهم بها.. وإنهم لكثْر مادامت هي هكذا.. تعني مثيرة للانتباه ومعرضة للوقوع في مواقف التباس لا حد لها.

إنها ثمرة سحرية، طازجة وممتلئة، تسبق موسمها إلى النضج فتبدو

لمشتهيها قاب فكيه أو أدنى.. فهو لا يجتهد في مد يده إليها، إنها تأتيه على طبق من ذهب ـ كما يقال ـ بأيسرَ مما ينبغي فلا يأمنُ مكرَ القدر فيها فيعرضُ عنها ولا يقربها خشية أن تكون مسمومة. ذلك لعمري هو سوء ظن ما بعده سوء.

- وهي..؟

- هي ليست قدرا، ولا تحقد على من نهبوا أظافرها وغرسوها في أعماقهم بمحض إرادتهم تاركين بصماتها على جراحهم، محيطين عنقها بآثام لم تقترفها في حقهم أبدا؛ هكذا الناس يصرون على احتكار دور الضحية حتى لا يشاركهم أحد هذا الامتياز النادر.

- إنها تقول: جميع الناس. فهل هي مختلفة عنهم؟

- كلا؛ ليست كذلك إلا بالقدر الذي يتيحه فائض الخصوصية المتبقي لها منها عندما تتنازل للآخرين عن كل شيء.

إنها تتجاوز الجميع بتكريسها الفاضح لمفاهيمهم التي كأنها وجدت لاضطهاد مشاعرها.

إنها عادية أكثر مما يجب: لا تعطي إلا ما تفتقد. مباشرة حتى النخاع، تجيء من أقرب الطرق وترفض التمنع.

لا حدود لتلقائيتها بحيث يبدو صدقها مبرمجا وتسامحها سذاجة، وتبدو إشاراتها الطفولية رموزا تستعصي على الفك، وبراءتها تبدو جرأة ومجونا.

هي هكذا، الطرف الأوحد والحكَم والمتفرج في لعبة هذا الفصل الأخير من الحياة.. لعبة لا تخص من تسميهم سواها؛ دأبتْ على ممارستها بمتعة لا تضاهى ولا تلغي شعورها بهذا الحياد التام تستدرج

نفسها إلى برودته شيئا فشيئا وتكيفُها على نبضاته بها وُهِبَت من قدرة على الإلمام بالنسيان وتقمصه.. نسيان ما يتراءى لها مما تستدل على أناها به: ظلها المفرط في تلاشيه تنشقّ عنه مرآة نبيهة يتناهى إلى عمى الكون ضوؤها اللاسع..

هي أثر يسبق الخطوات، صدى يصحح وجهة الطريق، واو تشمر على نسغها المبثوث في خشب التراث وتذهب إلى العمل.

الغيرة الحقيقية أن تقاتل دفاعا عن حريتها،
لا أن تضعها في السجن؛ تلك حبيبتك.

...

...

«اليوم.. ترون العجب!»؛ قال هذا عمي «عمر» الذي كان يعمل بائع شاي في سبعينات القرن الماضي، بقاعة سينما «الباي»، في الدوسن([2])... مسقط رأسي.

القاعة عبارة عن مبنى مستطيل الشكل، مشيد بالطوب المصموت، به سقف وباب حديدي.. ولا شيء آخر.

أما فيما يخص التسمية فلا معلومات لدي بشأنها، سوى أن صاحب القاعة يلقبونه الناس «الباي»؛ وهو رجل بهيئة ملك، يمشي برزانة ولا يتحدث كثيرا، ناهيك أن الحكمة تطغى على ملامح وجهه وحركة يديه ومشيته وما إلى ذلك.. وإذا كان لا بد من إعطاء تعريف له سأقول: إنه الشخص الأفضل لوضع صورته على عملة ورقية.

الجميع في الدوسن يعرف «سينما الباي»، حتى الجيل الجديد المنزوع من قاموسه هذه الكلمة (سينما)، يعرف تلك القاعة ويعرف أنها لم تعد

2) الدوسن مدينة فلاحية، تقع ضمن إقليم ولاية بسكرة (بوابة الجنوب الجزائري).

لعرض الأفلام بل لتخزين (الكابويا). بابها الصدئ يستهوي الأطفال ليكتبوا عليه بالطباشير عبارات حماسية من قبيل: «معاك يا الخضرا»..

أمس وقفت قدام «سينما الباي» وقرأت عبارة: «رجْعُولنا «سعدان».. يرحم والديكم..».

خلال سنواتي الأولى في المدرسة الابتدائية، كنت أكتب يوميا وأحيانا أرسم قبعات (أبطال الوسترن) على باب سينما الباي، وكنت أشاهد أطفالا آخرين يكتبون عليها، بل إن طلبة الثانوية كانوا يفعلون ذلك أيضا.

في إحدى المرات رأيت أحدهم يكتب هذه العبارة: «يا البشير المُخ «سميرة» مش من وجهك»؛ أظن أنني لم أره، بل قرأت العبارة فقط، وسمعت فيما بعد أخي الأكبر يقول : «أنا أعرف من كتب العبارة».

أتذكر الآن أنها كانت أوقح عبارة تناقلها الجميع في مدينة الدوسن، فقد تضمنت اسمين بالكامل وإشارة واضحة النوايا أفضت إلى حرمان «سميرة» من مواصلة دراستها، لقد أغلقوا عليها الباب الصدئ بكل قسوة وحولوا مسار حياتها إلى جهة الرماد مثلما أغلقوا «سينما الباي» وحولوها من قاعة لعرض الأفلام إلى مخزن كابويا، والسبب أن صاحب السينما بقي يعرض الأفلام بينما كانت الجزائر تبكي رحيل الرئيس هواري بومدين سنة 1978.

لقد جاء الشانبيط وأغلق القاعة ولم يجرؤ أحد على فتحها بعد ذلك إلا بعد سنوات عديدة. وهكذا انتهى عهد ارتياد السينما في الدوسن وفقد عمي «عمر» عمله كبائع شاي في «سينما الباي».

كان عمي عمر أول من أخذني رفقة أطفال آخرين من العائلة

لمشاهدة فيلم في «سينما الباي» قبل إغلاقها. قال لنا: «استعدوا هذا المساء.. سترون العجب».

بعد صلاة العشاء كنا نجلس على حصيرة بين جموع غفيرة من الناس، ينظر جميعهم بحزم إلى الحائط المقابل، وكنت أسأل عمي عمر: «هل نحن بانتظار الإمام؟»

لم يجبني واكتفى بالضحك وكان أصدقاؤه يضحكون أيضا.

فجأة انطفأ النور وشعرت بالهلع، وكان عمي «عمر» يقول لنا: «انظروا إلى الحائط جيدا سيحدث ما لا تتوقعون»..

انطلق صوت مهول وشيء يشبه الموسيقى بل إنه فعلا موسيقى، وظهرت صور على الحائط. إنه فيلم.. أول فيلم شاهدته في طفولتي؛ يحكي قصة مخرج تلفزيوني يصل مع فريق تصوير إلى جزيرة مجهولة. يقوم سكان من تلك الجزيرة باختطاف البطلة الجميلة، بغرض تقديمها أضحية لغوريلا عملاق اسمه «كينغ كونغ»، لكن المدهش في القصة أن الغوريلا وقع في غرام البطلة وحملها على كفه. ويقرر المخرج في الفيلم الإمساك بالغوريلا العملاق وإحضاره إلى مدينة نيويورك، وهذا ما حدث بالفعل لكن كينغ كونغ يهرب ويخرج عن السيطرة.

يجول «كونغ» في شوارع المدينة في حالة هيجان تام، يدمر قطارا مارا ويقتل عددا من المواطنين. ومن ثم يجد البطلة الذهبية ويختطفها ويحملها إلى قمة «الإمباير ستيت»، ومن ثم تقوم السلطات بإرسال أربع طائرات من الأسطول لتدميره. يقوم الغوريلا بإنزال البطلة برفق على برج المراقبة، ويتسلق السارية العالية ليقاتل الطائرات.. يدمر إحداها، لكن، في آخر الأمر، «كونغ» ليس ندا للتكنولوجيا المعاصرة.

وهكذا يلقى نهايته رميا بالرصاص، وتردد شرطة نيويورك بكل فخر عبارة: «طائراتنا قتلت كونغ».. ويردّ المخرج في الفيلم «أوووووه، كلا.. الطائرات لم تقتل الوحش.. الجمال هو الذي قتله..».

حقا «يا البشير المُخ «سميرة» مش من وجهك»..

●

تريدون تغيير النظام..!.. هيا أزيلوا القمامة من أمام بيتوكم...

●

الرّحم المتشنّج لا ينجبُ أسوياء..

في تلك الليلة المشهودة، يسود جو من الصمت والرهبة؛ الأعين تتبادل النظرات، وفي الزوايا همس ينتهي بعبارة «كل شيء على ما يرام». الفتاة تم تجهيزها لتكون على أكمل وجه وجسد لترضي فتاها الذي دفع ثمنها مسبقا وهو على وشك تأكيد امتلاكه الكلي لها.

العائلات المتمسكة بالتقاليد تحرص على إضفاء طابع القداسة على تلك الجريمة المكتملة العناصر؛ المسماة «ليلة الدخلة»، حيث يحتفل الناس بها ويسعدون لحدوثها، بحيث لا يتم الزواج إلا من خلالها. وهكذا فإن كل أسرة جديدة في مجتمعنا التقليدي تبدأ حياتها من «لحظة إتمام عملية اغتصاب زفافية»، لا يدينها القانون بل إنه يشجع عليها، ولا تستهجنها الأعراف والتقاليد بل إنها تتباهى بها. ويمجدها الإعلام الرسمي ويؤكد على مزاياها ورمزياتها في أفلام تلفزيونية يتم بثها للمشاهدين.

كل زوجين اقترنا على هذا النمط التقليدي يتذكران هذه الليلة ويتفاديان الحديث عنها، فهما قد تجاوزا هذا الامتحان بسلام، وكل ما يتمنيانه أن يتجاوز أولادهما وبناتهما ذلك مستقبلا.

إن في أعماق كل امرأة، تم الدخول بها غصبا، ذكرى أليمة متعلقة بيوم زفافها، وهذه الذكرى تعمق في ذاتها إحساسا كبيرا بالقهر

والدونية، وقد تجعلها تنظر إلى جسدها كلعنة مسلطة عليها.

إنها تتذكر جيدا كيف اهتزّ قلبها بين ضلوعها وانقبضت أساريرها وتلاحقت أنفاسها وامتلكها الرعب وهي ترى أمها تنحني عليها لتخبرها أن لحظة الحسم ستبدأ بعد دقائق.

في هذا الوقت يكون زوجها المسكين يتلقى من أصحابه ذوي الخبرة في الاغتصاب المزيد من النصائح والإرشادات والخطط البديلة لتشجيعه على «إنهاء الأمر» بسرعة، ثم يرافقه أحدهم وهو يحمل بندقية إلى غرفة العروس التي تجلس فيها خانعة مستسلمة بانتظار مصيرها المرعب.

يدخل العريس إلى عروسه ويبقى حارس الأخلاق قرب الباب حاملا سلاحه بانتظار أن يسمع صرخة العروس ليطلق النار إيذانا بنجاح العملية.

ولا يبقى سوى أن يخرج العريس متوجا بالنصر، تاركا عروسه غارقة في دم عذريتها المهدور علنا، لتهبّ إليها النساء وهن يزغردن ويرقصن محتفلات بالشرف المقدس الذي تجسد في قطرات دم على منديل أبيض ستبقى في ذاكرة الزوجة الشابة رمزا للصدمة المهولة والشعور التام بالعجز وشلل الفكر وانكسار الإرادة.

في الغد يتم تداول هذا المنديل بين سكان الحي أو القرية، لتأكيد رجولة الزوج وكفاءته، وشرف الزوجة وطيب نسبها.

مبارك لهما..! سينجبان البنات والأولاد ليكونوا أفرادا في مجتمع يفتتح حياة أفراده باغتصاب مقنّع ومقنن، اسمه الزواج.

لديهم إجابات لا حصر لها، بينما لم يكن قد نضج في أذهانهم سؤال واحد، وهكذا ما كان عليهم إلا أن يتوجهوا إلى مهنة الكتابة.

غالبا ما توصي الأم ابنتها ليلة الزفاف قائلة لها: (هذا زوجك هو غطاؤك إذا نمتِ فكوني فراشه إذا نامَ، سماؤك إذا مشيتِ فكوني أرضه إذا مشى، إمّا أمرك فأطيعيه وإمّا تكلّم فانْصتي له، وإمّا صمتَ ففي صمته حكمة لا تقطعي حبلها بثرثراتك. هو تاج رأسك وأنت حذاؤه، فكوني أطوعَ له من قدميه وأليَنَ له من جلده، أَظهري له أحسن ما فيك لتَسرّيه... ولا تجعلي بصرك يقع على عيب فيه، لأن كل العيب في عينك التي ترينه بها... يا بنيّتي؛ الكمال أصل في الرجال، فإذا أصاب الرجلَ نقصانٌ فبسبب زوجته، والنقصان أصل في النساء فإذا اكتملت امرأة فبفضل زوجها...).

وما إلى ذلك من تلك الوصايا الجاهزة سلفا.

الأب عادة يوصي ابنه بالشدة والحزم في معاملة زوجته، ويلقنه المزيد من حكم الأجداد عن غدر المرأة وسوء صنيعها، وعن تحالفها الأبدي مع الشيطان: (لا تزايدْ في شحّك عليها حتى لا تستغني عنك.. ولا تُكْرمها أكثر مما تستحق من كرمك حتى لا تتطلع إلى أعلى السور الذي شيدته حولها.. لا تضحكْ في وجهها أولا حتى لا تضحك منك أخيرا.. لا تُقرّبها إليك أكثر مما ينبغي حتى لا تتجاوزك، ولا تتساهلْ معها حتى لا تسهل عليها. كنْ عصيا لتربح طاعتها، صلبا لتضمن

لينها، قويا لتكسب ضعفها..)..

وما إلى ذلك من تلك الوصايا الجاهزة سلفا.

بعض الناس يقول: (دعك من هذا الكلام، إن الأمور تغيرت في هذا العصر...). وأنا أقول: (حقا إن الأمور تغيرت، لكن إلى الأسوأ...).

الزوج والزوجة في الماضي كانا مؤمنين بوصايا الأهل وقد عاشا معا بكل رضا؛ هي في الأسفل وهو في الأعلى.. هو السيد وهي الجارية. ومرت الأمور بينهما كما اتُفق عليه؛ لا شعور بالتناقض ولا رغبة في التغيير. كانا يقولان: إن الحياة هكذا فحسب.

الزوج والزوجة في عصرنا هذا ينفّذان وصايا المجتمع المحكوم بقاعدة (سيادة الرجل ودونية المرأة)، لكنهما ينفذان دون إيمان بصحة تلك الوصايا، فثمة شعور هائل بالتناقض وإمكانات هائلة لإحداث التغيير. لكنهما يقولان معا: لا يمكن أن تكون الحياة هكذا.. ترى أين الخلل!؟

●

النساء يعشن تحت تأثير الدراما ويخن أزواجهن في الحلم مع أبطال المسلسلات.

الرجال يشاهدون نشرات الأخبار ويلعنون الحكومة ويتحدثون في أمور بالغة التعقيد تضفي عليهم ملامح الهمة والريادة؛ يتحدثون عن الأزمة الاقتصادية والانحلال في المجتمع، وعن ضرورة سقوط النظام، وعن فساد الجيل الجديد، ثم إنهم يرفضون التدخل الأجنبي... لكنهم أيضا لا يتوانون عن خيانة زوجاتهم مع نساء جاهزات لهذا الغرض، وفي أحسن الأحوال يخونون زوجاتهم في الحلم مع حوريات الجنة.

●

الزوجة تطلق صرخة وهي بالمطبخ، فيهبّ الزّوج المتحضر إليها.

- ماذا حدث يا حبيبتي..؟

- كما ترى لقد تورم ساقي..

في الواقع إن ساقها بخير لكنها تفتعل الألم.

الزوج ينزل على الفور، يشغل محرك السيارة ويحمل وينقل زوجته بسرعة إلى المستشفى. وبعد ساعة، تعود الزوجة وقد تعافتْ مما لم يصبها، تستلقي في سريرها سعيدة حزينة..

إنها سعيدة لأن زوجها أبدى اهتماما رائعا بها، وعالج الحدث بكل ايجابية، لكنها تشعر بخيبة من نوع ما، لأنها لم تكن تريد أكثر من أن يدلك ساقها حتى تشعر بالحب.

●

حيثما تلتقي بعض النسوة، في أية قاعة انتظار، فإن أول ما يتحدثن فيه هو الصحة. كل واحدة تسأل الأخرى عن حالها، وكل واحدة تجيب بأنها (تحمد الله)..، رغم الألم الذي تعانيه، خصوصا في أوقات المساء.

إنها تعابير يتمّ تداولها بسلاسة، متبوعة بحركات معتادة لا تخلو من رائحة عرق غير منفّرة بالضرورة، كأنْ ترفع امرأة ذراعها وتتحسّس مكانا قريبا من إبطها قائلة: «الألم يبدأ من هنا.. ثم ينتقل تدريجيا إلى هنا.. وأحيانا إلى هنا.. تقريبا إلى هنا.. لكن ليس إلى هنا تماما.. و.. في (مرات قليلة) يجثم الألم هنا..»..

عبارات قليلة لا تعني سوى أن لديها موضوعات احتياطية أخرى قد تلجأ إليها في حال توفر المزيد من الوقت.

إنها تنقل يدها من مكان غامض في جنبها الأيسر إلى مكان أشد غموضا، وقد تسحب يدَ إحدى المنصتات إليها وتثبتها قرب كليتها هذه أو تلك، قائلة: «آه يا أخيّتي... نعم بالضبط هنا..». فتتجاوب امرأة دخلت للتو قاعة الانتظار، قائلة: أيحدث لك كذا... وكذا؟

- بلى والله.. هذا ما يحدث لي بالضبط..

- أنا أيضا يحدث لي هذا.. لكن ليس في جنبي الأيسر...

وتبدأ المتحدثة الجديدة بإطلاق التعابير والحركات المتفق عليها سلفا. وينتهي الأمر إلى أن موطن الألم بالفعل في الساق... كلا بل تحت الأذن... أو في رقعة غير معلومة من الجسد.

في الواقع إن الجسد بكامله، لدى غالبية النساء العربيات هو مصدر الألم.

الأزواج يؤمنون بتلك الحكمة القائلة: (المؤمن طبيب نفسه)، لذلك فهم الأكثر قدرة على تحديد مواقع الألم في أبدانهم، لكنهم بالمقابل لا يجتهدون في فهم المرأة التي هي بدورها لا تجتهد في فهم نفسها. وعليه فلا مجال أمام الأزواج الصالحين سوى تشغيل محركات سياراتهم ونقل زوجاتهم إلى الطبيب.

الأزواج ممتنون جدا للحكومة التي لا تتوقف عن تشييد مستشفيات قريبة من مساكنهم، وتوفير أطباء مختصين في الأمراض النسائية، لهم قابلية استماع عجيبة للزوجات التعيسات وهن يخبرن عن حالهن.

إنهم ينقلون زوجاتهم على جناح السرعة إلى الطبيب، ليس بدافع

الحرص على علاجهن بالضرورة، ولكنهم يفعلون ذلك ليؤدوا واجبهم اتقاء لتأنيب الضمير، أو لنقلْ إنهم يلقون بالمسؤولية على عاتق الأطباء، ذلك أن الحكومة الرائعة تدفع للأطباء قدرا جيدا من المال، مقابل أن يستمعوا لربات البيوت ويصفوا لهن مسكنات ألم فعالة.

في الواقع إن الأزواج يدركون أن زيارة الطبيب في حد ذاتها هي أفضل مسكن لآلام الزوجات. والحكومة أيضا تدرك هذا، فهي توفر المزيد من أطباء الأمراض النسائية ولا تهتم بتأسيس خلايا جوارية للمساعدات الاجتماعية، ومدارس لمنح الشباب المقبل على الزواج شهادة (مؤهل للعيش مع الجنس الآخر).

الحكومة أيضا ممتنة للأزواج، فهي توفر لهم أجواء مناسبة لمشاهدة نشرات الأخبار المعادية للنظام القائم، وتسمح لهم أن يعبروا ـ وهم في حوض الحمام ـ عن استيائهم من غياب الحرية والعدالة، وينتقدوا المؤسسات الرسمية لأنها لا تستمع لوجهات نظرهم وأفكارهم البناءة. إنها تدعهم يضمرون السوء لها ويشتمونها في السر والعلن، وتغض الطرف عنهم ماداموا يؤدون العمل المطلوب منهم سلفا.

الحكومة الرائعة مقتنعة أنها تخسر قليلا، كونها مضطرة لتحمل ثقل دم الأزواج المعادين لها، لكنها تربح الكثير من هؤلاء الأزواج، لأنهم يقومون نيابة عنها بشلّ النصف الآخر من المجتمع وإعاقته عن الحركة والكلام؛ أعني هنا ربات البيوت.

"الحكومة تقمع الأزواج بلطف ممنهج وتنقلهم على جناح السرعة إلى مستشفات رمزية تبث علاجاتها، أفقيا وعموديا، عبر الأقمار الصناعية، ليحصلوا على مسكنات. والأزواج يقمعون بلطف عشوائي زوجاتهم وينقلونهن إلى طبيب المستشفى المجاور لتلقي حصة في تطييب الخواطر."

قدم النظام على أعناق الأزواج وأقدام الأزواج على أعناق الزوجات. والزوجات يربين المجتمع على تقبل العيش تحت أقدام الجميع. إنها معادلة بشعة.

النظام السياسي يستعين بصمت الزوجات لمواجهة احتجاج الأزواج ضد بقائه.

الأزواج يستعينون بصمت الحكومة لقمع احتجاج الزوجات ضدهم.

الزوجات يعتقدن أن إسقاط النظام السياسي ليس من قبيل أولوياتهن، فهن مشغولات بالتخطيط لإسقاط السلطة الذكورية التي يستمد النظام القائم قوته منها.

أيها الأزواج تريدون أن يسقط النظام..!؟.. فليسقطْ إذن ذلك النظام المعشعش في رؤوسكم.

تحدثوا إلى النساء واستمعوا لهن، تتحدث إليكم الحكومة وتستمع لكم.

يقال (أنتم).. لـ99 امرأة معهم رجل واحد، وما يغيظني أكثر؛ ماذا يفعل هذا الرجل الواحد مع 99 امرأة!؟

...

...

لم يشأ أن يخبرني الصديق الشاعر السعودي عبد الوهاب العريض، عن القناة التي ستبث لقاء تلفزيونيا سيحضره.

لقد كان مستعجلا، واكتفى بالقول:

«لا عليك، إنه برنامج خاص بربات البيوت فقط».

والواقع أنني لم أستطع تخمين ما يمكن أن يدلي به شاعر مجنون، من أفكار وأحاديث تكون موجهة للنساء فقط· ليس هذا فحسب، بل لصنف من النساء هن (ربات البيوت) تحديدا.

بالنسبة لي؛ أنا أعاني نقصا فادحا في المواضيع التي تجعل سيدة بيت تترك مطبخها المقدس، وتجلس لمتابعة أحاديثي باهتمام بالغ· ما تراني سأقول لها لأحصل منها على قليل من الإعجاب، حتى لا تجد نفسها نادمة على الوقت الذي ضيعته في الاستماع إلي دون أن تجني فائدة؟

أظن أنها ستتأفف وتطلق عبارة من قبيل:

«هل أصيب أصحاب التلفزيون بالجنون، ما بالهم يجلبون أشخاصا من هذا النوع الغريب»؟

لا أفكار لدي حول خل التفاح ودوالي الساقين وطرق تنظيف السيراميك وحريق المقلاة والطرق الأفضل لكسب المزيد من خسارة الوزن...

على الأرجح، سأعتذر، فليس من الحكمة أن أقبل دعوة تلفزيونية ما لم تكن موجهة للجميع.

هيا نتصور أن لدينا في الجزائر قنوات تلفزيونية عديدة:

قناة «تونة» موجهة للصيادين، «خيط الروح» موجهة لعرض الأزياء، «بيتها» موجهة للماكثات في البيت، «صناعة الظلال» موجهة للعاطلين عن العمل، «ورد وشوك» للمراهقات والمراهقين... وهكذا.

لنتصور ذلك مفترضين أننا قمنا بدعوة أحد الشعراء للحديث في إحدى هذه القنوات المتخصصة.. هل سيقبل الدعوة؟ وإذا قبلها، فماذا سيقول للصيادين أو المهتمات بالطرز والخياطة أو البطالين أو المراهقين أو ربات البيوت؟ إن هذا لأمر في غاية الصعوبة.

على الأرجح؛ سيعتذر قائلا:

«أنا لن أغامر في قبول أي دعوة تلفزيونية ما لم يكنْ البرنامج موجها للجميع».

تذكروا، إذا توالت الاعتذارات هكذا، فلن يكون بوسعنا تأسيس قنوات تلفزيونية متخصصة. ذلك أن الكلام الموجه للجميع لا ينفع

الجميع دائما. فليس المجتمع سوى فئات متداخلة متشاركة.

من هم هؤلاء الذين نجيد الحديث إليهم دائما، تحت مسمى (الجميع)... أليسوا الصيادين وربات البيوت والبطالين والحلاقين وباعة سمك «التونة»؟

آه، صحيح... ما أخبار حصة الجزائر من سمك «التونة»!؟

هه... لا علينا، فهذا موضوع بالغ الاختصاص رغم أنه يهم البحارة ورجال الاقتصاد، ويهم ربات البيوت والدبلوماسيين والمستهلكين وتجار الجملة و.. و.. و...

إنه يهم كل الفئات الخاصة التي تشكل في مجملها (جميع) فئات المجتمع.

بعد هذا المقال، سأكون ملزما بتغيير رأيي، وأقبل أية دعوة لأي برنامج خاص بربات البيوت، اقتداء بصديقي الشاعر عبد الوهاب العريض.. رغم ذلك أموت لأعرف ماذا سيقول لهن...!

خُلق الرجال الشجعان للدفاع ـ حتى الموت ـ عن الوطن، وخلقت النساء الجميلات لجعل الوطن جديرا بالموت دفاعا عنه.

...

...

عندما تصوب الممثلة الجزائرية الشابة «بشرى عقبي» عيونها عبر الشاشة نحوك، تشعر أنك دون خلق الله مستهدف وأعزل، وأنك قابل للانخراط في كل أشكال المقاومة إلا مقاومة العيون الجميلة، بل إنك بمقدار ما تستسلم لهذه العيون وتذعن لسلطانها ينمو لديك حس الدفاع عن الذات والهوية والأرض التي تعينك على البقاء واقفا.

إنك تنهزم أمام السحر المكحّل وتسعد بهزيمتك، وقد يصل بك الأمر إلى محاولة تعميم هذه الهزيمة والترويج لها بدعوة الناس للانضمام إلى فريق يحمل شعار «وتقتلنا الحسان بلا قتال».

قال الشاعر الجزائري «الطيب لسلوس» في قصيدة له: «أحيانا أفكر أنك لا تنامين من فرط حدّة عينيكِ... لأنّ دقتَهما لا تدعُ شيئا يمرّ إلى النّوم". وهذا ما ذكرني بمقولة أحدهم عندما وجد نفسه وجها لوجه مع عيون تصيب بالصرع. لقد نظر إليها وأطلق هذه العبارة : «وهل تنامين... هل يطاوعك قلبك على النوم... إن هذا لكثير جدا!؟». لا

أدري ماذا كان رد صاحبة تلك العيون، ولا أدري ماذا فعل هو بعد ذلك، أظن أنه صمت أو أحس بحكّة تحت جلده أو تحت أي شيء آخر. لكنه بالتأكيد تمنّى لو كان شاعرا أو رساما ليعبر عن أحاسيسه كما فعل «الطيب لسلوس». لقد قذفت صاحبة هذه العيون في قلب صاحبنا حب الجمال.. وهكذا ربح الوطن مواطنا صالحا لا خوف عليه ولا هم يحزنون.

ذكرت شيئا من هذا للشاعر الجميل؛ «عاشور فني» فقال لي: «هل تعرف... إن العيون الجميلة لا تكف عن أن تكون جميلة حتى في الساعة الثانية صباحا، حيث لا أصباغ ولا كحل، لا رموش اصطناعية ولا عدسات، الزيف ينهار وتبقى الحقيقة!؟».

الله على هذه الحقيقة... فلتطمئنوا على بقاء الحقيقة حقيقية ولو على الساعة الثانية صباحا.

الاقتصاد في الجزائر يتراجع، مستوى المعيشة ينخفض، القطاع السياحي مقطوع الأوصال، المؤسسات الصحية مريضة، الأسعار تلتهب، المدارس مكتظة والتعليم يحصل باستمرار على علامة صفر، كل شيء صفر، إلا عيون النساء الجزائريات فهي عكس كل القطاعات في ارتفاع دائم والمنحنى البياني يؤكد هذا.

من المفيد حقا أن (الحكومة) لا تفكر بإنشاء وزارة للعيون الجزائرية، وإلا لكنا خسرنا المزيد من المكاسب؛ فأفضل منجزاتها أنها تدع العيون تزداد جمالا وهي غير منتبهة.

دائما كنت أعتقد أن الشعوب التي تعشق الجمال وتمجده وتذعن له وترفع الراية البيضاء أمام جبروته، لا يمكن إخضاعها أبدا. إنها

تنتفض في أي لحظة وتستعيد كرامتها وتبني دولتها التي لا تزول إلا بزوال الجمال.

تريدون أن تعارضوا النظام وتحاربوا الفساد وتقاوموا الأعداء وتطيحوا بالحكومة؟.. حسنا لدي خطة؛ اتصلوا بأقرب عيون جميلة إلى سكناكم، وقوموا بمغازلتها حتى مطلع الفجر، في صباح اليوم التالي تجدوا أن رئيس الحكومة قد استقال.

قبّلْها بشفتيك، فإن ابتعدت قليلا فبعينيك، وإن غابت تماما فبقلبك؛ وذلك أعظم الحب.

...

«اتّصلْ بنا اليوم لتكونَ سعيدا، الحظّ بانْتظارك في الوقت المناسب والمكان الصحيح».

هكذا تردّ عليك مسؤولة الاتّصال في مدرسة خاصة بالتّحكم في تقنيات التّقبيل مقرها ولاية «نيو جيرسي» الأمريكية، يقصدها الأزواج من الشباب والكهول والمتقدمين في السن. الدروس تقدّم على مدار الساعة، في الأوقات المتأخرة من الليل وحتى نهارا... وفي أيام العطل الدينية والوطنية دون استثناء. الدراسة هناك تجري على شفة وساق. ولا أحداث تعترض السير الحسن للمقررات، لا أعاصير ولا زلازل، لا طرود مفخخة ولا هجمات محتملة لتنظيم القاعدة... الطلاب يتهافتون ويتهافتون على المقاعد الأولى في الصف.

في الواقع إنهم لا يستعملون المقاعد ولا يحتاجون إليها، إذ لا وقت لديهم للجلوس، فالمنهاج المعتمد في هذه المدرسة يقوم على التطبيق المباشر لبلوغ هدف واحد وهو «اكتساب القدرة التلقائية الواعية

المتوازنة على التحكم في سلطة تسيير القبلة بين الطرفين».

المترددون في الانضمام لصفوف هذه المدرسة يطرحون عادة السؤال التالي: «ماذا يمكننا أن نتعلم لديكم»؟.

وتكون الإجابة في غاية البساطة: «تتعلمون لدينا ما يجب أن يفعله كل طرف أثناء عملية التقبيل ليكون محل إعجاب الطرف الآخر».

لكن مهلا إن هذا الكلام في غاية الخطورة. لأن الطالب بعد تخرجه من مدرسة فن التقبيل سيولي اهتماما بالغا لفمه. الفم بكل ملحقاته؛ الفكّان، اللسان، الأسنان، الشفاه، اللثة، اللّهاث، اللوزتان، البلعوم، الأنفاس، الريق... وحتى المعدة التي في الغالب إن ظلت فارغة أفرزت رائحة غير مشجعة على مواصلة القبلة.

إنه سيغير نظرته للحياة، سينظر إلى الحياة بفمه وهو يفكر أن هذا الشيء المركب من تلاقي فكين قد تجاوز مهامه التقليدية، كالمضغ والكلام والبصق والتأفف وإطلاق الشتائم... إلى مهمة أخطر..!

إنه الآن عضو قادر على إعطاء أكثر الهدايا رومانسية في العالم.. القبلة..!.. لهذا فلا غرابة أن تجد أحد الخريجين في هذه المدرسة يغني على قارعة الطريق: «لدي فم ولسان... واو... لدي فم وشفاه واو...».

وهكذا إلى آخر النشيد...

●

يقال إن الفم ثاني جزء جنسي عند الإنسان وأن القبلة أهم سلوك عاطفي يرفع سهم الإثارة إلى أعلى معدلاته.. لهذا تهتم الحكومة الأمريكية النبيهة بدعم هذا النوع من المدارس لتحقيق الأهداف التالية:

المحافظة على جودة النسل.

الاستعداد للمستقبل الأفضل بأجيال أفضل؛ مطيعة، مثيرة، مهذبة، ملونة، شيقة، سريعة، قوية، ذكية، رياضية وسهلة الحمل...

تطويل أعمار المواطنين وتقوية دخلهم وبناء حياتهم العامة على مبادئ لينة التطويع وصلبة في ذات الحين.

القضاء المبرم على المشكلات الاجتماعية كـالبطالة، الطلاق، هشاشة العظام، العنوسة، الزحمة، الزهايمر، الاكتئاب، الشيخوخة، الطائفية، البرود بكل أنواعه الجنسي والسياسي والثقافي...

تلك هي أمريكا، ولكننا الآن هنا، في وطن السكتات الدماغية.

حسنا، ألا يمكن تأسيس مدارس لتلقين فن التقبيل في البلاد!؟.. لا شيء مستحيل، صدقوني، خصوصا إذا توفرت النوايا الحسنة والإرادة السياسية.

وها إنني أبادر باقتراح هذا المشروع ليطّلع عليه مجلس الشعب، وتتمّ مناقشته لتنفيذه فيما بعد عبر المؤسسات الوصية المعنية، وذلك بإشراف وزراء الثقافة والسياحة والصحة والبيئة، إضافة إلى وزير المرح والسعادة وكذا وزير مكافحة الأديان الأخرى، لتتحقق مستقبلا النقلة النوعية في حياة شعبي العزيز الذي يملك معظم أفراده، إن لم أقل جميعهم، أفواها وشفاها وألسنة وما إلى ذلك من قطع الغيار التي يحتاجها الإنسان لتنفيذ مشروع قبلة.

في الماضي أظهرت السينما قدرا من التعقيد المُشين في ممارسة القبلة، فجعلت الناس يشعرون باليأس في إمكانية أن يقوموا ذات يوم بتقليد أبطال الفن السابع لصنع قبلة بمواصفات عالمية مع زوجاتهم

السمينات.

في الواقع إن بعضهم حالفهم التوفيق فتعلموا التقبيل السينمائي، ومنذ ذلك اليوم صاروا ينظرون إلى أنفسهم بينما هم يقبلون.

إنهم أبطال في شاشة كبيرة ليست سوى مرآة الخزانة في غرفة النوم. صار الزوج يقول لزوجته: «أنا جعلتُ رأسك... بكل موضوعية... يميل بدرجة تسمح لي بأن أستولي على شفتيك بإحكام لو لا أن جسمك كان أثقل من اللازم.. عليك أن تتخلصي من بعض الوزن الزائد عن الحاجة».

وقد تقول هي: «شاربك الطويل أفسد القبلة، عليك التخلص منه نهائيا».

وتستمر النقاشات غير المنتهية كما في برنامج الاتجاه المعاكس، حول ما يجب فعله للوصول إلى مشهد يرضى به المخرج المفترض المختبئ وراء الخزانة في غرفة النوم.

وبكل موضوعية أيضا يمكن القول أن الحديث عن القبلة صار أهم من القبلة ذاتها.

بحلول عصر الفوضى البناءة تحسنت الأوضاع كثيرا، ولمع أبطال التقبيل الجدد، على غرار «ريتشارد غير» الذي أضفى بساطة على القبلة حتى غدت في متناول الجميع. لقد حررها من آداب الصالونات المكيفة، وأعاد إليها دفء الغابات.

إنه ثوري في طريقة تقبيله. وقد تجلت ثوريته عندما احتضن النجمة الهندية الشهيرة «شيلبا شيتي» وقبلها علنا عدة مرات، أمام الملأ خلال احتفال للتوعية ضد مخاطر الإيدز في نيودلهي سنة 2007، مما أثار نقمة

الهنود عليه فخرجوا غاضبين إلى شوارع المدن الكبرى في الهند، محتجين ومنددين ومتوعدين ومطالبين بذبحه وسلخه في ساحة عمومية. لقد مس «ريتشارد» كرامتهم وجرح كبرياءهم لمجرد أنه عبر عن عواطفه علنا، مع مواطنة من صلبهم، وهذا ما لا يقبله الهنود.

أنا أحترم «ريتشارد غير» وأعبر له عن كامل تقديري من موقعي هذا، فهو من أكبر المجددين في هذا المجال إذ ساهم منذ بداية ظهوره في تفتيح الأعين على ما هو أبعد من مرآة غرفة النوم، وعلم كل حبيبين أن يتبادلا القبل دون أن يهتما بتوجيهات المخرج الذي لا وجود له إلا في الخيالات البائسة.

●

الناس يقبّلون على الجبين والأنف، وعلى الخدود والشفاه والعيون، وعلى الكتفين واليدين والأظافر والأقدام، ويرسلون قبلهم في الهواء وعبر لوحات الدردشة الالكترونية بكتابة عبارة مواااااح... أو بإرسال أيقونات لشفاه تقوم بحركة تقبيل مضحكة. وقد يبلغ بهم الأمر حالة من الانفلات العاطفي تجعلهم يقبلون المناديل والألبسة والمكان الذي لامسته اليدان الحبيبتان والأرض التي مشت عليها القدمان الطريتان.

لكل واحد مذهبه وطريقته في التّقبيل، لكن الحقائق المؤكدة حول القبلة أن الإنسان يحصل على النّصيب الأوفر منها في سن الطفولة، فإذا وعى أهميتها افتقدها ولو نسبيا. وأن التدخين والخمر والثوم والبصل وطلاء الشفاه ذو النوعية الرديئة والأسنان الملوثة، كلها عوامل إفساد للقبلة. وأن أطول قبلة في التاريخ لا تحدث إلا في البرازيل، كما في عام 1964 عندما أراد عشيقان تبادل قبلة سريعة بعيدا عن أعين الأهل فوجدا نفسيهما بطلين في موسوعة «غينيس» بعدما تشابكت دعامات

أسنانهما وبقيا ملتصقين حتى كرها اليوم الذي اكتشفا فيه هذا السلوك المسبب للألم والفضيحة معا المسمى؛ قبلة.

كما سجل التاريخ أن أطول قبلة سينمائية تلك التي تمت في فيلم «أنت في الجيش» عام 1941 لـ«جون وايمان» وكانت مدتها 4 دقائق.

وفي العصور الوسطى بإيطاليا كان الرجل إذا قبل فتاة في مكان عام يكون عليه أن يتزوجها وفقا للقوانين العرفية. وتعد القبلة الفرنسية من أشهر أنواع القبل والأكثر هدْرا للسعرات الحرارية فهي تحرق 239 سعرا حراريا، وبالتالي فإنها تساعد على خفض الوزن بالنسبة للأشخاص الذين يعانون السمنة.

لكن القبلة الفرنسية كاللغة الفرنسية، فقدت بعضا من مكانتها وتألقها عندما انهال نجم هوليوود «ريتشارد غير» على «شيلبا شيتي» نجمة السينما الهندية وخريجة البرنامج البريطاني المشهور «الأخ الأكبر»، بوابل من القبلات الثورية على الرّكح وأمام أعين الكاميرات، مما جعله عرضة لملاحقة قانونية. وقد تسببت هذه القبلة التاريخية في مشاكل كبيرة بالهند كادت أن تفضي إلى كارثة سياسية. لهذا السبب أنا أحترم «ريتشارد غير» وأدعو لدراسة هذه القبلة وإعطائها اسم «قبلة ريتشارد» حفاظا على حقوق الملكية الفموية.

●

أن تعبر عن الحب لزوجتك فهذا لا يعني فقط، أن تهديها مزيدا من الورد خلال عيد الحب. أو تنتظر عيد زواجكما أو عيد ميلادها لتقوم بتصرف لطيف إزاءها.

التعبير عن الحب يجب أن يكون سلوكا يوميا يبدأ من قبلة الصباح.

يقول قائل: إن الظروف المعيشية الصعبة تنسي أو تحول دون ممارسة بعض الناس لهذه الأمور الحميمة الرائعة.

من المؤسف أن هذا صحيح جدا، لكن ما رأيكم لو قلت لكم إن هذه الظروف الصعبة لن تتحسن إلا إذا بدأتم فعليا في أخذ الأمر على محمل الجد وبادرتم بإعطاء قبلات عميقة لحبيباتكم قبل مطلع الشمس، مرفقة بعبارات جميلة من قبيل: «أنت شمس حياتي الطالعة». وهكذا يحدث التعبير عن الحب وتتحرر الطاقات الداخلية وينموا الذكاء الاجتماعي لديكم، وتكونون على استعداد لإحداث التغيير العميق في حياتكم الخاصة، مما ينعكس إيجابيا على مستواكم المعيشي.

الشعوب التي تهدر أكبر قدر من السعرات الحرارية في ممارسة التقبيل، هي بالضرورة شعوب أكثر استقرارا وحرية، ناهيك أن اقتصادها القومي في ارتفاع مستمر.

أنا أعرف شخصا كان يعمل في الشبكة الاجتماعية وكانت ظروفه بالغة السوء، كان يبدو مهموما، بينما هو يؤدي عمله بجد في ساحة البلدية، وكان مهموما أيضا وهو في المقهى يتبادل الحديث مع أصدقائه.

أهديته بضعة صفحات تقع جميعها تحت عنوان «المكتمل في صحيح القبل»، وهو فصل من كتاب لطيف أقوم بإنجازه. وقلت له: هيا اقرأه جيدا وانتظرْ كيف يكون مطلع الشمس لاحقا.

لقد تجاوز همومه وقرأ هذا الفصل لعدة مرات، وأظن أنه تشجع و أغرق زوجته في القبل فتحسّنت صحتها.

كان هذا الشخص يصرف الجزء الأكبر من ميزانيته الصغيرة على علاج زوجته المصابة بمرض لا وجود له. وما إن بدأ بتقبيلها والتغزل

بها حتى وفّرتْ عليه مصاريف العلاج فلم تعد بحاجة لزيارة الطبيب. ثم اهتم بتطوير تعابيره العاطفية إزاءها فزاد حماس زوجته وصارت تساعده في ميزانية البيت من خلال عملها كخياطة، وهي تفكر اليوم بالاستفادة من مشروع موجه لربات البيوت، حتى يتم التغلب على كل الظروف الصعبة.

تظنون أن القصة من صنع الخيال... صح!؟

بالله عليكم... متى تكفون عن هذه الشكوك المزرية... أليس من الأفضل الظّن بأن همومكم هي التي من صنع الخيال!؟

هيا قوموا حالا واشرعوا في تقبيل زوجاتكم حتى مطلع الشمس.

●

بعد كل ما قرأت، وما كتبت وما تعلمت وما سافرت... لم أستطع نسيان تلك القبلة التي حصلت عليها سنة 1977؛ حدث هذا في ليلة مقمرة، وكانت شريكتي في صنع تلك القبلة فتاة بدوية، بشفتين لينتين طريتين مرطبتين تلقائيا ومعطرتين، أو لنقل إنهما بنكهة المشمش، أقصد؛ (شفتاها).

واستعمالي لهذا الوصف المشمشي ليس مرده أن القبلة وقعت فعلا تحت أكبر شجرة مشمش رأيتها طيلة حياتي ـ جذوعها ضخمة وأغصانها تمتد في كل الجهات.. مع ملاحظة أن الحكومة لم تكن وقتها تعلم أصحاب البساتين كيفية (تقليم الأشجار) ـ بل مرده لكون تلك القبلة... أقسم... أقسم أنها مشمشية؛ شكلا وطعما و ورائحة!

مع الوقت تدربتُ على تقنيات مذهلة في التقبيل؛ طورتُ الأداء وخسرتُ المشمش. وفيما بعد شرعت الحكومة في تدريب أصحاب

البساتين على تقليم الأشجار؛ وهي الأخرى طورتِ الأداء وخسرت الإنتاج..

اللعنة على التدريب... اللعنة على الثقافة.

●
أنا شاعر... | ... شاعرُ بالخطر...
●

المعجزة امرأة تصنع المطلوع بينما السماء مغشاة بالسحب والمذياع يرسل أغنية؛ (غيم العشوة).

...

...

نْحبْها؛ ومانيشْ عارفْ علاشْ نْحبْها.. بمعنى:

يمكن أن أعادي شخصا ـ مهما كان مقرّبا مني ـ لمجرد أنه انتقدها، حتى وإن كان انتقاده لها موضوعيا.

نْحبْها؛ فأفقد موضوعيتي وقدرتي على التمييز، والأخطر من ذلك أفقد أهم ميزاتي الحميدة: التوازن. لطالما كنت في الماضي متوازنا، واليوم.. لا شيء مما كنته، إنني في حضرة جمالها؛ متطرف.. بدائي.. ومنحاز لها.. حتى أنني أفكر من خلال لون بشرتها.. وحين تمشي يحدث نوع من التمايل في رأسي، وحين تضحك..!

يا رب.. كيف أقول..!؟..

«نوللي شاتي نعضّ خدودها.. الله على خدودها..»..

هل أنا شرير..!؟

نْحبْها.. بمعنى؛ لا تعجبني قهوة لم تصنعها هي. ولطالما كان حلمي أن أبقى معها طيلة حياتي، بينما هي تثني رجْلا وتمدّ أخرى، تضع الفطير على (الطاوه)... والزيت يلمع عند معصميها، وثمة بقايا عجين على باطن الساعد.

نْحبْها؛ «ينعل-بو» (الطّاوه)... تصيب أحد أصابعها بحرقة صغيرة، فتقوم بتلك الحركة العجيبة، تقريبا ترعّش يدها، وتنهي اللقطة السريعة بما يشبه... أظن تمص إصبعها أو شيء كهذا...

نْحبْها؛ وهي تشتم «الطّاوه»...

نْحبْها؛ وهي تميل لتسحب شيئا، ثم تطلب مني سَحْبَ هذا الشيء فأسحبه.. الله على السّحْب..!

نْحبْها؛ تتجمّل لحضور حفلة زفاف، بينما أنا أقف بالقرب منها. في هذه الحالة يكون حديثها متقطعا، لكن أهم ما تقوله، لا تقوله إلا وهي تضع الأحمر على شفتيها، وحين يتعلق الأمر بالأحمر... تختلط وظائف الحواس لدي...

تميل إلى المرآة، على اعتبار أنها تريد إزالة حبة كحل انسحب إلى زاوية العين!.. لقد أزالتها بحركة ترميش تلقائية وأزالتْ فائض الخجل؛ هاه.. لقد سحبتُ يدي..

...

قالتلها جارتها ليوم: «جاتك الروبة تهبل»..

نْحبْها؛ وهي قاعدة تتكسل على جارتها.. تتكسل على خاطر عارفتني

بللي نحبها.

نْحبْها؛ وقت ما نفيق الصباح نلقى روحي نْحبْها..

غيري يلقى روحه «مثقف».

●

واحدة من علامات نباهتي أنني أصير أبله؛

أبله تماما.. أبله إلى حد؛ أحاول المشي إليها على أهدابي.

والعجيب..!

أنني أمشي إليها الآن

على

أهدابي.

●

خمس سنوات قضيتها معك أحاول إقناعك بحبي، وخمس سنوات أخرى قضيتها معي تحاولين إقناعي بأن ما أفعله من أجلك لا جدوى منه.

وبعدما تأكدتِ (وأنت معي) أنني لن أتركك، وتأكدتُ (وأنا معك) أنني لن أحصل عليك؛ قضينا خمس سنوات (معا) نتحاور لإيجاد صيغة ترضي الطرفين..

...

ترى ماذا نفعل في الخمس سنوات المقبلة..!؟

لماذا كفّتْ النساء عن طلب تلك المساعدة
الرائعة التي تجعل العينين بمواجهة أجمل
كتفين، فيها الأصابع المرتعشة تقوم بربط أو
حل شيء ما..!؟

...

...

عيد سعيد يا حبيبتي الغائبة؛

سأنام غدا من مطلع الشمس إلى مغيبها؛ سأنام ولا أفكر إلا بك، أو بقصائد أنوي كتابتها لك أو عنك.. وهذا لا يعني أبدا أنني لا أحب الناس؛ بل بالعكس تماما، أنا أحبهم كحالات فردية، طيلة السنة، لكنني بالمقابل لا أستطيع أن أحبهم دفعة واحدة، في يوم واحد كله ذبائح وأطعمة.. كله تخمة وزيارات وتعابير متفق عليها سلفا.. وعطور ممزوجة برائحة العرق والتمنيات الغبية.. كما أنني لا أتحمل تلك الضربات المتتالية بعظمة الخد على وجهي..

أعلم أنه شيء سيء للغاية أن أظهر ـ خصوصا في يوم عيد ـ أمام الناس ـ وحتى أمام نفسي أيضا ـ كشخص؛ مكتئب، غير اجتماعي، ميال للعزلة وشديد الحساسية.. أقول أمام الناس، والواقع أن غرفتي ليست ـ كما في تلك الأفلام السريالية ـ مفتوحة على الشارع.. إن بها

نافذة مزودة بستارة وأشياء أخرى ملحقة.. وهكذا لا يكون بوسع أحد رؤيتي وأنا نائم. فلأشكرْ مخترع الجدران والنوافذ والستائر.. وأهم من هؤلاء جميعا؛ ذلك العبقري الذي عانى كثيرا قبل أن يهتدي لفكرة مكنته فيما بعد من اختراع شيء عظيم اسمه البيت؛ أشكره، لولاه لتمّ وصفي بالمعقد والمريض والمكتئب.. وإن يكن وأكثر من ذلك؛ هذا لا يغضبني البتة، لأنني..

أولا؛ أنا مريض... مريض جدا بسبب غيابك..

ثانيا؛ أنا معقد... معقد من القيم التي تحرمني من طرق بابك ودعوتك للخروج معي في نزهة قصيرة تستمر حتى نهاية التاريخ، أو في رحلة إلى نهاية العالم لقضاء بعض اللحظات هناك..

ثالثا؛ أنا مكتئب إلى حد.. تقريبا إلى حد العجز عن الشعور بوجودي مادمت غائبة.

●

لست مجرد امرأة لها اسم ولون وشكل ورائحة وتاريخ ميلاد وأوراق ثبوتية وبرج تضع في دلوه قناعاتها بشأن القضاء والقدر والنجاح والفشل والمستقبل والأصدقاء وما إلى ذلك.. ولست مجرد امرأة تتمتع بجمال يغلب باطنه على ظاهره، وذكاء لم ترهقك حدته بقدر ما أرهقك سعيك المستمر لإخفائه؛ إنك لأكثر مما قلت عنك وما سأقول، ما أعرف عنك وما لا أعرف، ما أذكره عنك وما نسيت.. وأكثر مما يعنيه صمتي وأنا أقف أمامك كطفل محروم فتح عينه في لحظة فاصلة، فإذا به أمام جبل من الألوان والألعاب والحلوى.. وأكثر مما تعنيه خفقة قلب أتلفه اليتم وظل يتلفه، وما أن أوشك على السقوط

هامدا حتى انفتحت وامتدت أمامه تلال هائلة من الأمومة الفياضة..

•

لقد أصبتُ بك ذات مرة، وقلت سأنقطع عنك، لكنني لم أفعل بسبب ضعف إرادتي في مقاومة فكرة مفادها (أنا موجود لأحبك)؛ حتى أنني مع الوقت أدمنتك..

إن حالتي اليوم مستعصية؛ أنجذب لرائحتك أكثر من انجذابي إليك؛ ربما؛ بسبب مخاوفي من الأرق. سيقول طبيبي النفساني؛ الذي لا وجود له طبعا: «داومْ على زيارة عيادتي فأنت مريض». وأجيب: «بالفعل أنا مريض؛ مريض بحبيبتي.. ولهذا أنا أداوم على زيارتها، مثلما يداوم على زيارتكَ مرضاك المصابون بك».

لا أريدُ من الله أن يشفيني منكِ؛ أريده أن يجعلني مريضك الأوحد، ويجعلك طبيبتي الوحيدة..

أنا أثرٌ من جمال حبيبتي..

...

...

...

قبل أن أفتحَ عيني؛ وجدتُك تنظرينَ إليّ.

قبل أن أنطقَ باسْمكِ؛ تردّدَ صوتُك في أذني.

وقبلَ أن تنحني وتحِيطي روحي بذراعيكِ، تدحرجَ ضوءُ المصباحِ في السّقفِ. وهناك عند البابِ.. عند البابِ؛ انْتصبتْ قامةُ رجل ـ هو أنا ـ نسيَ روحَه لدى امْرأة ـ هي أنتِ ـ ...امرأة تَنظرُ إليّ فأراها، تحدّثُني بصوتي، فأصغي إليها بسمعِها.

هذه الأنثى البعيدة القريبة الـْ.أعداؤها خلف الأسوار يرمونها بالحراب، لا لينتصورا عليها بل ليهزموا رغبتهم في أن يروها ترمي لهم عظْمةَ رضاها ليلهثوا وراءها ليلهثوا...

هذه الأميرة، القدّيسة، الإلهة، الشيطانة الملاك.. المغمضةُ عليّ جفونها كحلم، المرصّعة كتفي بنيشان التبعية إليها، المشيرةُ لي ببنانها أن «سر وراء ظلي إلى الأبد»..

هذه المتمرغُ وجهي على عتبتها، الباكيةُ عيني بحرقةٍ تحت قدميها النبويتين، المتوسلُ قلبي لها أن تدوسَ عليه؛

دوسي عليه حتى ينسحقَ أو يكونَ جديرا بك، حتى يموتَ أو يحيا مخلصا لك

أحبُّها أكثر، منتشرة فيّ أكثر، لأمرضَ بها أكثر ، وأنتشرَ أنا في كل الدنيا، ثم أعودُ إليها سالما من هذه الدنيا ومصابا بها..

أبشّركُم بميلادها هذا العام، بميلادها بعد ألفِ عام، هذا العام؛ فقد أخذتْ كاملَ وقتِها في مطاردتي ليختمرَ جمالُها ويكتملَ بموتي،

أبشّركُم بميلادها؛ فقد أنجزتْني وانتهتْ مني بإمعانْ

ورمتْ بي إلى النّسيانْ

طعمُها هو ما يخلدُ مني في كلماتٍ، رائحتُها هي تراثي المأمولُ، جلدُها هو صوتي الذي ـ بعد ألفِ عام ـ سيقولني ويمرّ...

●

الحريّة؛ لا تحرّرُ عبدَها إلا داخلَ سجنِك

الموجةُ؛ لا تموّج خطَّها إلا حافيةً..

حافيةً تسترسلُ الموجةُ في الخجلِ الماثلِ للرقصِ، في تهدّلِ الطّياتِ السماويةِ الممعنةِ في الحفيفِ، في روحي التي رأيتُها على ضوء ناركِ ليلة البحر تلك...

حيث انْقدنا للموجة الحرّة عاريين فلبستْنا الحريةُ.

●

انْظري إلى المطر يهطل ببسالة، ربما ليجعلها تتوهّمُ أنها غابةٌ؛ تلك النّبتة المتسلّقة شبّاك غرفتك...

في غرفتك رأيت عشراتِ العواصف معلقةً على مشجَبٍ قرب سريرك، رأيت أقمارا تزحفُ على خشب طاولتك الصغيرة.

العالم يا حبيبتي؛ العالم خارج غرفتك مصلحةُ أرشيف يهدرُ فيها «يوسف زيدان» أيامه البالية.

●

بينما كان الشرطي يترّبص بالإرهابي، وكان الإرهابي يترّبص بالشرطي، وقفت أنا وأنتِ بينهما. وبطريقة استعراضية صنعنا قبلةً مدوية، فإذا بالشرطي والإرهابي يترّبصان بنا.

إنهما يختلفان في كل شيء ويتشابهان في عدائهما لنا؛ فلتكن قُبلتُنا أرضيةَ الحوار بينهما.

●

النساء المؤدبات يحسْدنها على مجونها. النساء الماجنات يتعلّمن منها الغرور والصّخب، يتعلمن منها التعتيم والمجاراة واللعب ونكْث العهود، يتعلمن التشبيهاتِ والاستعارات السّوقية.. السّطو على الموتى والتّدخين في الظّلام..

يتعلّمن منها كل شيء.. كل شيء.. إلا إصرارها على الفشل في صنع المكائد.

المثقفون يلتقونها صدفة، ويكتشفون صدفة أنّ لديها أشياءَ كثيرة تخُصّهم، وعليهم اسْتعادتها، فيشرعون في تنفيذ خططهم الماكرة.. ويحتفلون في آخر فصل من حياتهم، يحتفلون بخزائنهم التي امتلأت بكل ما فقدوه طيلة السّنين الماضية؛ يحتفلون وهم داخل خزائنها.

الملوك مجبرون أن يكونوا تحت أقدامها ليكون العالم تحت أقدامهم.

الشعراء المتذمّرون من غياب القرّاء، يؤلّفون القصائد حولها وينشرونها، على حبل الغسيل الخاص بثيابها الداخلية.

المناضلون يتحمسون عادة للوقوع في غرامها؛ إنهم يقعون بالفعل، وهكذا تتشوّه بدلاتهم الرمادية ويفقدون ذاكرتهم وحسّهم الثوري.. والأهم من كل ذلك يفقدون وظائفهم المضمونة.

أما أنا فقد أيقظتني ذات صباح، ومنذ ذلك الصباح الذي أيقظتني فيه، بهسيس أنفاسها ـ

منذ ذلك الصباح وأنا... ... نائم..

●

كنتُ طيلةَ السّنين الماضية.. كنتُ أبكم. كان لساني قبل عهدي باسْمك مجرّد عضلة، وكانت الكلمات في قاموسي محوا ذا صدى.

يوم استجابَ لساني لنداء اسْمك نطقتُ..

ويوم سمعتِني، يوم سمحتِ لسمعك أن يتلقّى صوتي تكلّمتُ، ثم اعتزلْتُ الناس.. صرتُ طيلةَ السّنين الآتية شاعرا، صرتُ شاعرا بأنّ على كلماتي أن تسمعك حتى وإن كنتِ صامتة.. صرتُ شاعرا ولي أقوال..

أقوال بحواس شتى..

أقوال ترى الدنيا بعينيك فتستعيد نعمةَ البصر، تصغي إليك فيُستمعُ إليها.

أقوال تحاول قوله ـ تستنشقه، تتهجاه، توهمُ قائلها أنها جزء من

إفرازاته ـ أقصد جلدك.

أقوال تقولني لك..

من لم يذعنْ لك فهو بلا إرادة، من لم يَـقْتلْ دفاعا عن وجوده فيك، ووجودك فيه، فهو مجرم، من لم يغدرْ بحلفائه، ولم يقدْ كتائب جنده إلى عتبةِ قصرك، ويتوّسل رضاك فهو جبان، من لم يبصمْ على وثيقة الاستبسلام غير المشروط لك فهو مهزوم.

من لم يسلمكِ مفاتيح قلاعه فهو خائن.

●

الروائي؛ أبوه بنّاء..

الشاعر؛ أمه خياطة..

●

تلك القصيدة كُتبت بأبسط ما يكون..
بمعنى؛ تدوير إصبع على ضفيرة..

...

...

...

يقال: شّعر المرأة تاج جمالها.

لكن مصففي الشّعر يحبون إضافة تلك العبارة الدعائية: «هذا الجمال لا يكتمل إلا باختيار التسريحة المناسبة». وتتلاحق عبارات أخرى من قبيل؛ «تغيير الشكل النمطي»، «لمسة جديدة»، «روح المرح»، «انحناءات مترابطة وخصلات مفرودة لإضفاء الجاذبية». وهكذا...

إنه قاموس لغوي يمكن استعماله دائما، مرفقا بصور مثيرة لملء صفحة كاملة في جريدة أو مجلة.

إذا سألنا مصفّف شعر خبير عن النصيحة التي على النساء العمل بها لاختيار تسريحاتهن. سيقول بلا شك: «شعر المرأة سرّ أنوثتها، فهو رسول جمالها لأنه يعبر عن شخصيتها ومزاجها العام وتقاسيم وجهها». حسنا إن عبارتي (سرّ الأنوثة)، (الجمال) لا يمكن تحديد دلالتهما بسهولة. ذلك أن عالم الموضة يقدم لنا نماذج لنساء حليقات الرأس وأخريات بتسريحات ذكورية، بل إن بعضهن يتشبهن بالدمى،

وقد يذهب الأمر ببعضهن لمحاكاة صورة الشيطان المتخيلة. وقد نشاهد عارضة مشهورة بقرون استشعار أو حتى قرون أيّل، وقد نرى مستقبلا تسريحات مستلهمة من قرون الفيل أو حتى جده الماموث المعلن عن انقراضه.

إن اللغة الدعائية الخاصة بالموضة لتبهرني حقا فهي تفتح مجالات للاجتهاد، لكن المشكلة أن الحديث عن الموضة صار أهم من الموضة في حد ذاتها. وهنا كثرت الاصطلاحات الفضفاضة المموهة.

المرأة كالثمرة الطازجة نرّيد دائما تذوقها والتهامها. (ماذا عن تلك الثمرة التي نشتهي أن تتذوقنا وتلتهمنا)؛ إنها في غصنها بينما أصابعنا تتشوق لقطفها. (ماذا لو أنها هي التي تقطف أصابعنا). لا ضرورة من زيادة التفلسف. دعنا ننتبه إلى فكرة مهمة. شكل الثمرة أين يكمن؟... سأجيب لكن ليس على طريقة مصففي الشعر، بل على طريقة شاعر: «إن أسلوبي في القطف هو ما يحدد شكل الثمرة». أي إذا قطفت الثمرة بأسلوب جيد فإن شكل الثمرة سيكون جيدا بالضرورة. وإذا كان شكلها جيدا فإن طعمها جيد، وإذا كان طعمها جيدا فهذا يعني أن حواس التذوق لدي لذيذة وجيدة. بهذا المعنى أفكر أنا بشعْر المرأة.

إنه حالة من الحركة واللون والرائحة والخطابات المتلاحقة و..و..و..و..

هيا نجرب أن نتخيل الحركات المحتملة لكل التسريحات المحتملة، ونضع لها التسمية المناسبة. حسنا ما رأيكم أن بعض الشعر يتموّج وبعضه يتلولب وبعضه يتجعّد وبعضه يتدرّج؟ ثم إن هناك المنسدل والمضفور والتاجي وهناك المبعثر والمجنّح والمتداخل.. وهناك أيضا المتدفق.. الله على المتدفق؛ كم هو لين وعصي، متمرد وحريري الملمس؛

تمسكه بقبضتك فيطاوعك وما إن تطلقه حتى يعود إلى وضعه الطبيعي.

هذا النوع المحبب لدي قد يكون بألوان شتى: مضيء الجانب، فحمي مغيم، ضبابي كخبز الزنجبيل، بنكهة تساقط الثلوج، متماوج الخصلات متمازجها كدخان سيجارة، توتي أو خرّوبي أصحر، بشقرة الفراولة أو بالكستناء الغامق، بكريمة الكرميل أو ألسنة النار..

لا تسمحوا لي أن أتمادى في الكلام عن هذا النوع الآسر للشعر الأنثوي وخذوا وقتكم في إيجاد صفات أخرى ذات علاقة بالحركة.. وألوان أخرى ذات علاقة بكل شيء.. وهكذا نكوّن قاموس الشَّعر الأنثوي (بالفتح) فهو أفضل من الشِّعر الأنثوي (الشين هنا مكسورة الخاطر).

عزيزي المثقف؛ غيرْ الواقع البئيس في بلادك، فإن لم تستطعْ، كرسْ عمرك في حب امرأة حتى تجنّ بها، فإن لم تستطع قدمْ نفسك طعاما لبعض الكلاب المتشردة.

...

...

في كأس العالم في جنوب أفريقيا؛ 2010؛ ظهر ولي عهد هولندا الأمير «وليام ألكسندر» وزوجته الأميرة «ماكسيما»، وكانا يشجعان بحماس منتخبهما الذي يحمل شعار العائلة المالكة لا العلم الهولندي، وظهرت الأميرة الصغيرة «أماليا» ابنتهما ذات السبع سنوات1<?>) وهي تشجع على الطريقة الإفريقية المزعجة. انتبه العالم آنذاك إلى منظر الأميرة زوجة ولي العهد وهي تتمايل بكامل جسمها في حركة راقصة يتناغم معها شعرها الذهبي. كانت تبدو منطلقة وشغوفة بالحياة وسط موجة جماهيرية يطغى عليها لون البرتقال الخاطف للبصر. يا الحلاوة البرتقال؛ سيد الفاكهة.

الهولنديون يحبون الفاكهة بطبعهم، يتشبهون ويتشبثون بها. لهذا يحتفلون منذ نصف قرن في كل ثاني سبت من شهر سبتمبر بمهرجان الفاكهة السنوي في مدينة «تيل»، وفي السنة الماضية(2) حضر ولي عهد

هولندا الأمير «وليام ألكسندر» وزوجته الأميرة «ماكسيما» وبناتهما الثلاث، واحتفلوا جميعا بافتتاح موسم الجني مع القرويين في مظاهر كرنفالية تُستعرض فيها مجسمات وعربات مصنوعة من الفاكهة والخضروات.. تجوب شوارع وساحات مدينة «تيل»، وسط حضور جماهيري حافل.

كانت الأميرة كعادتها خلاصة كل الفاكهة الملكية، تنتهك بلا حذر تقاليد القصر وتتخطى حدوده، على العكس مما هي عليه الملكة الحالية «بياتريكس» (31 جانفي 1938)، التي تولت العرش عام 1980 إثر تنازل أمها الملكة «جوليانا» عن التاج لها وذلك في حياة جدتها سليلة أسرة أورانج ناسو (Orange-Nassau) العريقة؛ الملكة «ويلهلمينا» التي كانت هي الأخرى قد تنازلت عن العرش من قبْل لابنتها.

لقد ظلت هذه العائلة البرتقالية من شدة عشقها للبرتقال ملتزمة بخط إنجابي واحد، مشروع تأنيث مستمر لم يتوقف إلا مع الملكة الحالية «بياتريكس» التي لم تنجب إلا الذكور، فكان ولي العهد لأول مرة ذكرا الأمير «وليام ألكسندر» الذي وقع في حب زوجته الحالية الأميرة «ماكسيما» سيدة البرتقال بامتياز التي أبهرت العالم وهي تشجع فريقها في جنوب إفريقيا وأبهرت الهولنديين وهي تحتفل مع القرويين بمهرجان الفاكهة فأسرت قلوبهم رغم أنها ليست هولندية الأصل بل أرجنتينية؛ دخلت القصر بعد صراع مع الملكة الحالية والدة زوجها في معركة حسمها التأييد الشعبي لصالح الأميرة «ماكسيما» فقد تعاطف الهولنديون مع ولي العهد (زوجها) في قصة حبه الكبيرة.. (كبيرة إلى درجة أنه كان مستعدا للتنازل عن العرش من أجلها).. وقد تزوجها

بالفعل دون رضا والدته وأعاد معها الخط الإنجابي إلى مساره المؤنث من جديد بثلاث أميرات لحد الآن.. نكاية في الملكة «بياتريكس» الحالية التي كانت قد كسرت القاعدة بإنجابها للذكور فقط، ولم يكفها هذا فقد عارضت زواج ابنها بشدة لأسباب دينية.

اليوم هولندا في عهد هذه الملكة المولعة بإنجاب الذكور والرافضة لقصص الحب هي هولندا المتطرفة لأمثال «خيرت فيلدرز» في بلد تمنع قوانينه إساءة أي مجموعة من الناس لأسباب دينية.

ليت أن الملكة «بياتريكس» المنتصرة للذكورة تغادر كرسيها فتنتهي عهدتها الأبوية، ليحكم بعدها بكرها «وليام ألكسندر».. وهكذا تعود هولندا إلى عهدها الأمومي على يد الأمير المنتصر للأنوثة.

اليوم؛

تضع الحياة وردة حمراء على شعرها وتلتفت
نصف التفاتة، تميل نصف ميلة، فتحدث
تلك الأمور الرائعة التي لا يمكن شرحها..

للشموس أشعتها البرتقالية وللأشجار تنهداتها وأنا راع ينصت للحن خفي على تلّة بعيدة.

لطيفة رأفت؛ وجه مغاربي يطل من شفيفة عسل..

لطيفة رأفت؛ خيرات من النعاس الكرزي الآسر تكتنزه عينان نظراتهما كالنّور الذي يأتي من خلال الزجاج الأخضر..

لطيفة رأفت؛ وميض يتدفق مع كل ابتسامة.. أراجيح تتزاحم فيضيق بها الحال عند الخصر، وتقصر لها المسافات عند الأكمام... فرح يكمن في ما تخفيه فتحة القفطان من الساق لتظهره أكثر...

لطيفة رأفت؛ أجمل فراشة تطير ملونة في الشمس... امرأة استثنائية بعيدة المنال، تضعُ النأر في دمنا وتمضي...

القرط الطويل قطرة ماء تمد عنقها لتشرب، رنين خفي يرعى ثريات وهمية على الكتف، شرود منتبه.

أيتها الألوان المغمضة علي أسرارها اغمزي أريد أن أرى...

أيتها الأمشاط انسدلي أريد أن أسرح...

أيها القرط تقدمْ إلى أذنيها أريد أن أسمع...

لطيفة التي تشرفّت الدنيا باستقبالها سنة 1965 بمدينة «القنيطرة» المغربية، هي تاج على رأس الفن المغاربي، عندما تغني يصبح للنغمة ظل؛ الظل مرآة النور.

علاقتها بصوتها كعلاقة الشمسيات والقمريات في القصور الأندلسية بأشعة النور.

«خويي خويي»، «مغيارة»، «أنا في عارك يا يما»، «كيف رايي هملني»، «علاش يا غزالي»، «توحشتك بزاف»... تحف فنية بنكهة مغاربية خالصة، تعبق بالسحر العربي الأمازيغي وتذكرنا بالعشب والنخيل والغيم والصحراء ورائحة التراب، وتعيدنا إلى فردوس البراءة والطفولة والنقاء، حيث كنا ندندن: «لالة لميمه بطيتي مجيتيش»، ونترنم بأغنية:

«يا ربي سيدي وش عملت أنا بوليدي... ربيته بيدي واداّتو بنت الرومية».

●

بنت الرومية والمتمسحون على أعتابها يخططون لاقتلاعنا من هويتنا وثقافتنا المحلية، لكن لطيفة الرائعة تقاوم مع عظيمات مغربنا الكبير هجمة رأس المال المأجور الذي يستهدف ثقافتنا وهويتنا تحت مسميات واهية.

أحبك يا «لطيفة رأفت» وأتعلم منك.

نربّي أفكارنا جيدا وندعها تخطط حياتنا..

...

...

...

لا أذكر بالضبط أوّل نص كتبته في حياتي، وأعني بكلمة «كتبته»؛ أن حالة شعرية راودتني ثم تشكّلتْ ملامحُها بالتّأمل، ومع الوقت أخرجتها على شكل جُمل أولية متتالية، ثم نقّحتها، وأخيرا دوّنتها على ورقة بيضاء، واخْترت لها عنوانا فكانتْ قصيدة..

لا أتذكّر أبدا أبيات هذه القصيدة، لكنني أتذكّر أنّها كانت (غزلية)، ومن المرجح أن أغلب كلماتها لم تخرج عن القاموس العاطفي المعتاد (الشوق، الهجر، الوداع، الدمع الألم، القلب والمهجة..) وما إلى ذلك.

ومرت الأيام وكتبت قصائد أخرى عن نساء كلهن من صنع خيالي.

في إحدى المرّات التقت عيناي بصورة امرأة رائعة، على غلاف مجلة ملوّنة، كانت شقراء.. شقراء إلى درجة العجز عن الاستيعاب، وكانت لها عينان زرقاوان وشفتان ورديتان، ونظرة شهية كـ«خبز الدار»، وكانت ترتدي قميصا شديد البياض تدمع له العين. ورحتُ أتأمّلها بعمق لأحصل على حالة (إلهام) تفضي إلى كتابة قصيدة، وأظنّ أنّني نجحت في ذلك. لكنني بلا شك فشلت في جعل تلك المرأة، داخل الصورة، تذرف دمعتين تأثرا بقصيدتي التي ألقيتها عليها، لقد بقيتْ

ثابتة ولم تكلّف نفسها مشقّة الخروج من غلاف المجلّة إلى الحياة كما أعيشها.

أرجوكم لا تخبروا أحدا أنني كنت أعتقد بإمكانية حصول هذا رغم كل التّجارب الفاشلة.

في السّنة الخامسة من تعليمي الابتدائي وقع ما لم يكن في الحسبان، لقد خرجتْ تلك المرأة من الصورة وجاءت إلى مسقط رأسي، بمدينة «الدوسن»، ودخلت مدرستنا واختارها المدير معلمة بالقسم الذي أدرس فيه.

في الواقع لم تكن هذه المعلمة هي المرأة ذاتها التي في الصّورة سالفة الذكر، ولم تكنْ تشبهها، لكنها بالمقابل كانت جميلة، هادئة وعميقة، حازمة ولطيفة، والأكثر من كل هذا، أنها ترتدي قميصا شديد البياض، بينما شعرها ينسدل على كتفيها.

وتهيأ لي أن هذه المعلمة الوافدة حديثا، إنما هي صنيعة تأملاتي، فلولاي لما كانت موجودة في هذه المدينة الواقعة على هامش الهامش.

فكرتُ أن أكتب قصيدة فريدة، أتغزّل فيها بمعلمتي، بعينيها السماويتين وشفتيها الورديتين. ونفّذت الفكرة بكل شجاعة، من دون الحاجة إلى إلهام، ورحت أقرأ قصيدتي لكل من يرضى الاستماع إليّ. لكن زملاء لي في المدرسة لا يستلطفونني، أخبروا المعلمة بفعلتي هذه، فاسْتدعتني على الفور. وتحدّثت إليّ بأسلوب لم أعهده من قبل، كان لكلامها وقع السّحر، فاسْتطاعت بأقل جهد أن تسحب مني اعترافا صريحا بما فعلت، ثم طلبت مني أن أقرأ القصيدة، وبالفعل قرأتها بصوت متقطّع، والدموع تتزاحم في عيني، ورجلاي ترتعشان وقلبي

ينبض بشدة، خوفا مما ينتظرني من عقاب.

وما إن أكملت إلقاء القصيدة حتى تجمّدتُ في مكاني، وأنا أفكّر بسرعة الضّوء في الجهة التي يُحتمل أن تأتي منها الصّفعة، (هكذا جرت العادة)، لكن الذي حدث هذه المرّة، أن المعلّمة ابْتسمت لي برقّة بالغة، وأخذتني في ذراعيها وضمّتني إلى صدرها بقوّة حتى اشتممْتُ عطرها الدّاخلي.

كان هذا أول عناق حصلتُ عليه بسبب قصيدة كتبتها. وكانت المرة الأولى التي لم أتعرّض فيها لعقاب عن (خطأ حقيقي) قمتُ به. ومنذ ذلك اليوم أحببت العطر فسعيت لمزجه بلغتي، وأحببت المرأة فكانت محورا مهما في كتاباتي. إنني لا أكتب إلا ما يمليه علي جسد الحبيبة.. ولا أقول إلا ما يتفوّه به صمتها ثم.. أدّعي البلاغة...

اتّضح لي الآن أن تلك المعلمة الرائعة لم تكن أبدا صنيعة تأملاتي. لقد كنتُ أنا صنيعتها في تلك اللحظة. لقد منحتني ذلك العناق الدافئ الذي أعتبره الآن أول وأفضل جائزة حصلت عليها عن قصيدة كتبتها..

إنها جائزة لم أجرؤ على ذكرها في سيرتي الذاتية.

لقد نجحتُ هذه المرة في صنع التأثير المطلوب، أمام جمهور نخبوي؛ معلمتي الرائعة، ورأيت كيف يكون للكلمات فعل السحر. لقد أحاطتني بذراعيها، وسحقت المسافة الفاصلة بيني وبينها، فلا فراغ ولا هواء يمر، وأطاحت بجميع الفوارق، متخلية عن تلك الصورة التي يجب أن تكون عليها امرأة (معلمة) ذات شأن في المجتمع، إزاء طفل (تلميذ) يعيش في الهامش.

●

فائض الغنج نقص في الأنوثة..

●

المرأة كالقصيدة؛ تفقد جمالها بمقدار ما تستجدي الإعجاب..

...

...

...

مرحبا بك في سلسلة الـ«كيتش شوب»، حيث الغنج الذي يجعلك تتعرض للاستغفال فتكون سعيدا بذلك..!؟

تبدأ الضيفة المختصة ببرامج «التنمية البشرية» الحديث عبر التلفزيون عن «المهارات الأنثوية»، وتحرص أن يكون كلامها رقيقا وجذابا.. و.. ملفتا للسمع.

إنها تفكر بضرورة أن يكون ظهورها ـ باعتبارها مدربة في «دورة الامتياز النسوي»ـ مفعما بالأنوثة، والأنوثة بالنسبة لها لا تبرز إلا في انتقائها العبارات الدافئة، وإطلاقها بصوت ناعم.

إنها حريصة على هذا وتتحدث دون ارتباك، بينما تضع نصب عينيها عبارة: «أنا مدربة وعلي أن أكون قدوة يُحتذى بها»، وهكذا تصبح الأفكار لديها سبّاقة طلائعية، متوافقة مع دقة نبراتها؛ كل فكرة تمر، لا تمر إلا عبر صوتها... كل فكرة سابقة لصوتها.

إنها تعلّم النساء، خلال دورات تدريبية، كيف يكنّ ناجحات في حياتهن، وتطمح أن تجعل كل واحدة منهن تبلغ درجة الامتياز مثلما بلغتها هي، ولهذا استحقت أن تظهر في التلفزيون لتعطي الانطباع بأن

الوصول إلى أعلى المراتب ليس «مهمة مستحيلة»، إنه شيء يتحقق بين الحين والآخر. والدليل أن «المدربة الشابة» تتحدث الآن في الأستوديو» ويمر كلامها عبر الأثير ليصل إلى ملايين الناس، فتلتقطه نساء الوطن، ثم يقمن بتقليد النموذج؛ كمية مقبولة من الصوت الحنون، على مقادير من الغنج غير الظاهر، مضاف إليها حركات اليد مرفقة بنظرات الثقة، مع الحرص على بقاء الابتسامة في حالة سيلان إلى حين «رفع الجلسة» التلفزيونية.

بعض النساء يكتسبن بالفعل مهارات أنثوية عالية، فيصبحن مؤديات في بيوتهن. أقصد يصبحن نجمات متألقات، و..كل لحظة من حياتهن تمر كأنها لقطة عابرة للأثير.

لكن، ماذا عن الزّوج!؟

على الزوج أن يكون في هذه الحالة مجرّد «مستهلك للغنج»؛ أقصد هنا ذلك الغنج المنهجي، المبرمج، النّموذجي، الموزع على خانات.. الغنج الواعي، الذّكي، المحترف، المحضّر بعناية، المتجدّد، تلقائي التّحديث.. الغنج المتحوّل للضرورة، المتفاعل، القابل للتأقلم في كل الأجواء ومع كل المزاجات، الغنج الشيّق، الخفيف، الحاذق، المعدّل النّسخ حسب الطّلب، الغنج المعتمد من مدارس «التنمية البشرية» المنتشرة اليوم في بلادنا، لتدريب سيدات المستقبل على بلوغ أعلى درجات الامتياز الأنثوي.

•

سكّرية على شكل ثدي، هذا حسْنُ ذوق ما بعده ذوق، لولا أنّه مبالغٌ فيه إلى درجة السّوء.

زوجان شابّان ينامان في سرير محاط بنبات صناعي متسلّق.. يا لهما من رائعين!.. لكنهما سيكونان أروع لو اقتلعا نبات الزّينة هذا وأهدياه لسلّة المهملات... أوووف، ساعتها يشعران أنّهما أخفّ.

ومضة إشهارية عن أمن الطّرقات، يتمّ بثّها على السّاعة السابعة صباحا، تظهر فيها فتاة جميلة مع والدها المتهّور، وهو يقود السّيارة بسرعة فائقة. فجأة يُسمعُ صوتُ اصْطدام كبير، ترتجّ الكاميرا ويظهر الزجاج محطّما، تنطلق موسيقى حزينة ويسيل الدّم... دمٌ غزير... دم في كل مكان... دم ينهمر بلا رحمة.. يا إلهي لقد مات الجميعُ دفعة واحدة، على السّاعة السابعة صباحا..! ماتت الفتاة ووالدها وربما مات أشخاصٌ آخرون..! وهذا ما يجعل صوت الممثل المبتذل يطلق عبارات مقزّزة، بهدف توعية الجماهير وحثهم على السّياقة بـ(بطء) حتى لا يحدثَ لهم مكروه..

الواقع أنّ ما يمكن أن يتعرّض له النّاس لن يكون أسوأ من مشاهدة هذه الومضة الإشهارية على الساعة السابعة صباحا.

والإشكال ليس في الهدف المتوخّى من وراء هذه الومضة، بل في الأسلوب المباشر جدا الذي صِيغَتْ به؛ السيناريو سطحي ورديء وفج.. و..كـذلك الـمـوسيقى... ناهيك عن توقيت البثّ...

من المفيد أن أنصحَ المسافرين بالإعراض عن مشاهدة مثل هذه الومضات، لأنّ تأثيرها سلبي للغاية. إن من يشاهدها يشعر على الفور باستفزاز قاهر، وسوداوية لا نظير لها. وقد يفقد ذلك الإحساس بالسّلاسة في حركة الأشياء، وقد ينظر لابْنته ويقبّلها كأنه على وشك أن يفارقها بعد حين.

تبًا لمن يعرضون هذه الومضات. إنهم عدوانيون وسيئو الذّوق أليس كذلك...!؟

نعم، إنهم كذلك، والدليل أنّ أعصابي شبه منفلتة الآن، حتى أنني غير واثق تماما فيما إذا كان مخترع السّيارة رجلا ذا نوايا حسنة إزاء البشرية... أهذا ما يريدون أن أفكر به!؟

تبا لهم، لقد نجحوا في قهري والتنكيل بأحاسيسي هذا الصباح.. لكنّهم لن ينجحوا تماما.. سأرجئ سفري هذا اليوم لأنني لا أريد أن أمسك مقود السيارة بأسناني وأقود بسرعة 200 كلم في السّاعة، نكاية في خريجي مدارس عالم الـ«كيتش».

إدارة متحف بمدينة «فينترتور» السّويسرية، نظّمت معرضا يتناول مسألة الذّوق السيئ مُقابل التّصميم الجيد. وسمحَ القائمون على التظاهرة للزوار أن يجلبوا قطعهم الخاصة القبيحة، سواء لإدراجها في المعرض أو لسحقها إربا إربا... طبعا، تعبيرا عن الغيض الشّديد، وذلك باستعمال آلة ابتكرها نحّات اسمه «أنطوان زغْراغْن». لقد شاهدت فيديو بموقع «سويس إنفو» ورأيت كيف تعمل تلك الآلة التي يقول صاحبها: تشعر بنوع من التّحرّر عندما تحطم شيئا احتفظتَ به.. لكن لم تكن تريده حقا... إذن ما عليك إلا أن تضغط على زر لتشعرَ على الفور أنّك أخف.

وأنا بالفعل أريد أن أكون أخفّ. هل يعني هذا أن أحطم كل ما يصادفني في الحياة من عالم الـ«كيتش»!؟

ما هو الـ«كيتش» في نظري؟.. اسمحوا لي أن أخبركم، لكن، بعد هذه الومضة الإشهارية.

على رصيف الميترو بالعاصمة (الجزائر)؛ رأيتُ زوجين شابين يتبدلان القبل ويقومان بتلك الحركات العاطفية الأخرى؛ لزوم (المشهد المعتاد الذي لا يجيده إلا «عشاق الميتر» في البلدان الديمقراطية). تأسفتُ أن ليس في مدينتي ميترو. هل يمكن لأحدهم أن يجتهد لإيجاد صيغة ما تسمح للناس بممارسة تلك الحركات المثيرة في محطات الحافلات؟

...

...

...

غالبا ما يُعلّم الآباءُ أبناءَهم القيامَ بأفعال صائبة، ويُلقّن المعلمون تلاميذهم كيفية كتابة جملة صحيحة، ويتدرّب المسؤولون على استخدام المعايير اللازمة لاتّخاذ قرارات سليمة في الأوقات المناسبة. لكن لا أحد يفكّر بوضع لائحة للأخطاء المحتمل أن يقعَ فيها الأبناء والتلاميذ والمسؤولون. لأنّ تفادي الخطأ يُكتسب بالخبرة والتّجربة والاحتكاك.

إذا افترضنا أننا بصدد تأسيس علْم من هذا النوع، فلا شك أن اسمه سيكون "علم تفادي الخطأ"، وسيكون لدينا تقنيون ومهندسون، وباحثون مختصون في مسبّبات الخطأ، وقد يظهر على إحدى القنوات العربية شخص طليق اللسان يتكلّم من عمان أو بيروت، ثم تُكتب في

أسفل الشاشة عبارة (خبير في علْم الأخطاء)...ألا يبدو هذا الأمر طريفا!؟

رغم ذلك، لا شيء مستبعد، فنحن غالبا ما نقرأ مقالات في صحف لا نتذكّر أسماءَها، عما يشبه التدابير التي تقع عادة تحت بنود شتى، بصيغ استفهامية... مثلا:

كيف تتجنّبين سيدتي أخطاء الماكياج؟ أو كيف تتجنّب سيدي الأخطاء أثناء البحث عن وظيفة؟ أو كيف تتجنّب ارتكاب الأخطاء الشائعة أثناء المقابلات؟ وهناك أيضا لوائح تحت بنود مثيرة للانتباه؛ مثلا: كيف تتفادى الأخطاء الشّائعة أثناء عمل طبق السّلَطة؟ أو كيف تتفادين الأخطاء مع زوجك داخل غرفة النوم؟... وهكذا...

ما يهمّ في هذا الموضوع سؤال واحد هو: كيف لك أن تعرفَ إن كانت هذه المِزهرية وذاك الفنجان يتميزان بسلامة الذّوق أو بانْعدامه أصلا؟

هذا السؤال تضمنته فقرة شرح تقديمي لفيديو يبثّه موقع «سويس إنفو»، يحمل عنوان: عالم الـ«كيتش». ويظهر في بداية الفيديو مؤلّف كُتب، اسمه «فليب تينغر». تقول عنه مقدمة التّقرير: إنه خبير في الـ«كيتش والذوق الرديء». وقد تفضّل هذا الكاتب بالحديث عن القدرة على اختيار الأشياء التي تناسبنا وتليق المكان الذي نعيش فيه.

كلمة الـ«كيتش»؛ (kitsch) ظهرت عام 1860 في ألمانيا، وتعني حرفيا البضاعة الرّخيصة، لكنها بالمعنى المجازي تحيل إلى (الذوق الرديء) كخط فني يقوم على الاستخدام السيئ للمواد، أو على المبالغة في توظيفها إلى حد فقدان القيمة الفنية والمعنوية. إنّه فن التنكر للواقع أو طمسه تماما من خلال محاولة تجميله.

أميل إلى النقد المشكك في النوايا التي يمرر عبرها بعض الفنانين أحاسيسهم الرعناء..

...

...

...

في يوم ما من شهر ما، سنة 2006، حضرتُ افتتاحا لمهرجان خاص بالبطولة الوطنية للشعر النّسوي بـمدينة «بسكرة»، صِنْف أكابر. اخْتار فيه القائمون عليه ـ وكلّهم من الذّكور ـ قاعة «حمام الصالحين» لإعطاء إشارة الانطلاق لهذه التّظاهرة النّسوية الشّيقة، فيما كانت بوابة (الحمام) مزيّنة بالأعلام وجريد النّخيل ولافتة من القماش الأبيض مكتوب عليها: «الوطن قلب امرأة».

الشاعرات جئن من مختلف جهات الوطن، ومن البلدان العربية، وحتى من اسبانيا والصين.. وكنّ يتجولن ويمرحن في ساحة «الحمام»، وفي عيونهن ثقة بأن الوطن فخور بهنّ ويجدّد ثقته في كل مرة بإمكاناتهن غير المحدودة. قمتُ بالتقاط بعض الصّور لحساب مجلّة محلية، وبقيتُ أنتظرُ حفل الافتتاح. بدا الإنهاك على الجميع؛ الضيوف ومن معهم افْترشوا الجرائد وجلسوا ينتظرون، أما الضيفات ومن معهن فكن صبورات يتجوّلن بهدوء ويتبادلن الأحاديث، وكلّهن حرص على إبقاء فساتينهن بحالة جيدة. أما أنا فقد أصابني السّأم ساعتها،

وعندما أسأم أغنّي... أظنّ أنني غنّيت في ذلك اليوم أغنية: «مامّا يا مامّا.. لابسه الزّرقاطي»... غنّيت ودخلت حالة من اليأس اللذيذ؛ تكرار الأغنية والمشي والدّوران حول نفسي والاستمتاع بالحمى وهي تتسرّب إلى أطرافي. كنتُ أنتظر وأغني... وأغني... وأغني... حتى صاح أحدهم وكان في منتصف العمر، يرتدي (بدلة رمادية) وعلى صدره بطاقة منظّم تلمعُ كدرع فخري: «هيا... الجماعه جاو». نهضت سعيدا وسرتُ مع الحشود باتجاه باب القاعة، وبأقلّ جهد حصلتُ على مكان جيد لالْتقاط صور جيدة.

اقترب الوفد؛ السيدة الوزيرة، الوالي، رئيس المجلس الشعبي الولائي ومسؤولون آخرون... وقبل أن يصلوا إلى باب القاعة، اقتحم الدائرة المخصّصة لمرور الوفد أفراد من فرقة شعبية يرتدون ملابس فرسان ويحملون بنادق عتيقة. صاروا يطلقون النار تحت أقدامنا، ويصوّبون في اتّجاهات مختلفة ثم يقومون بحركات فلكلورية غريبة، ويطلقون مرّة أخرى.. إنّهم يطلقون بلا هوادة. تذّكرت عبارة «يلعب بالنار». كانت الوزيرة تضحك بعمق وتحيي وتصافحُ كل من يقترب منها، وكانت تحاولُ بدبلوماسية عالية أن تشارك الجميع فرحتهم. كان صوت البارود أعلى من اللازم. غالبتِ الوزيرةُ شعورَها بالانزعاج وأعطتْ انطباعا بأنّها مبهورة، مبهورة جدا بما يحدث. إنّه نوع من المجاملة يتطلّب ذكاء عاطفيا حتى يفهمَ القائمون على التظاهرة أنّ إطلاق البارود بهذه العنجهية تحت أقدام الجمهور وفوق رؤوسهم أمر يدعو للتقزّز.

زغردت النّساء وتباهى بعض الرجال المحيطين بهذا التّرحيب النّادر، وكانت الوزيرة تعبر عن سعادتها بهذا الجوّ العارم، بانْتظار أن

ينتبهَ أحد لضرورة توقيف هذا العرض المؤذي.

استمرّ الوضع هكذا وزاد حماس الفرسان، فشقّتْ الوزيرة طريقها إلى القاعة وتركتهم يطلقون النار، ولعلهم لا يزالون كذلك حتى هذه اللحظة.

يومها حمدتُ الله أنني لست وزيرا... وإلا لكنتُ أطلقتُ على هؤلاء أي شيء ليكفّوا عن مرحهم المبتذل.

•

سأفسد حياتك، ما لم تتدخلْ لحل المشكل العالق
بيني وبين المرأة التي أحبها؛ سأفسد حياتك، (فقط؛
دلني على عنوانك أيها النظام القائم..)..

•

الكمال عيب والنقصان فضيلة..

...

...

لا أحد ينكر التّحسن الملموس في سلوكات قبيلة الرّجال، إنّهم بالفعل صالحون ويتحلّون بشجاعة فائقة، ويقدمون بمحض إرادتهم مزيدا من التّنازلات الهّامة لقبيلة النّساء، القابعة في الجانب الآخر من النّهر.

لقد صار الرّجل في بلادنا يقرّ بحقوق المرأة ولا يتوانى في إعلانها، أمام الملأ، إنّه يَظهر في المؤتمرات والمهرجانات والولائم وعلى شاشات التلفزيون وهو يقول: «أنا أحترم المرأة و... و... و...»... يا إلهي، إنه يقول هذا دون أن تتورّم عضلات وجهه أو يتكسّر فكّه السّفلي!...

أليست هذه نتائج ممتازة..!؟ إنها بالفعل كذلك ولا يتغاضى عن هذا إلا جاحد.

النساء بدورهن، لم يكنّ ناكرات جميل، وقدّرن هذا العطاء الذي بذله الرّجال، ولهذا فهنّ يغتنمن الفرصة دائما، ليقفن صفّا واحدا وينشدن: «شكرا يا رجال شكرا... شكرا يا رجال شكرا» وهكذا...

الرجال عادة يسعدون بكونهم فعلوا شيئا يستحقّ التنويه. فلطالما أبهروا النّساء بمواقف شتّى، وآن لهم أن يفكّروا مليا في السّؤال التالي.

ماذا يمكن أن يطلب الرجل من المرأة؟

في الواقع إنه سؤال صعب فهم يشعرون بأن شيئا ما ينقصهم، وبالمقابل يعتقدون بقدرتهم على امتلاك كل شي. يا لهذا التناقض المرعب..!

لا علينا... لنقلْ، إن المرأة كاملة. لأنها اعْترفت بنقصانها وآمنت به ودافعت عنه... أي أن لديها مساحة خالية، لمراجعة الذّات، للأخذ والرّد، التّعديل والنقد، والمناورة...

الرجل ناقص. لأنه مقتنع بكماله.. وثابت فيه... مرصوص، مدكوك، معبأ، محشو تماما كبرميل البارود... لا حركة... ششششت، لا نفس... إلى الأمااااااام... درْ... خلف سرْ.. سرْ... حتى تسقط وتمو..و..و..ت...

تستطيع المرأة أن تنتقم من الرجل، على عصور القهر التي عانتها بسببه، وذلك بأن تعمّق لديه قناعاته الرّجولية. وتعترف له بضعفها حتى ترضي غروره، وعندما يتعب من النّضال العبثي لا تسمح له بأن يسقط في أحضانها، بل إنّها تزجره وتقول له: «قم أنت رجل... أنت قوي، الرجال لا يسقطون، قمْ وسر، إلى الأمام». والرجل يصدّق ويسير إلى الأمام.

منذ فجر التاريخ وهو يسير إلى الأمام... بلا نهاية...

●

كل الأنظمة القمعية بنت تاريخها على ظهر الرجل، وتحقّقت بسببه كل الحروب والمجاعات والأوبئة... وازدهر الفنّ الرديء والإعلام المتخلف والأصولية المتحجرة واليمينية المتطرّفة على يديه، وانتعشت

القصائد العمودية وأمّنت مستقبلها على حسابه؛ بيت تلو البيت تلو البيت... خرررررر... والمرأة تراقب عن كثب.

لم تكن المرأة أبدا ناكرة جميل، وقدّرت هذا العطاء الذي بذله الرجل، لهذا تقف عادة خارج الصفّ الواحد وتنشد: «شكرا يا رجل شكرا... شكرا يا رجل شكرا»... وهكذا... ثم تضحك عليه وهو غير منتبه، تضحك وتخفي ضحكتها... وإذا توقف ليلتقط أنفاسه تستكين له فيفور الدّم في عروقه ثم يواصل رحلة الوهم، يواصل موته غير المعلن.

الناقد كاتب مخصي إبداعيا...

...

...

...

العضلةُ التي تقدّم نشرةَ أخبار مرحة تقول:

«... وخاضتِ المرأةُ هذا المعترك مع أخيها الرّجل».. إلى آخر المعزوفة المعدّة سلفا.

«سيدنا الشيخ»، المتسامح إلى درجة أنّه تنازل ـ بطيب خاطر ـ عن جزء من لحيته، ليعلن انْضمامه إلى فريق المدنية الحديثة. يقول: «فللمرأة دور إلى جانب أخيها الرّجل في المجال الإرشادي والتوجيه و... و...»... إلى آخر التسبيحة.

المؤرخ النموذجي، صاحب المقالات المحضرة بعناية، وفق متطلبات الذّوق العام يقول: «وحملت المرأة السلاح مع أخيها الرجل وضحّتْ بنفسها»... إلى آخر النشيد.

المكرفون المدعم ببدلة سوداء، يلتفت يمينا ويسارا ويطلق بسلاسة، ذلك الطقمَ من الكلمات: «سيداتي آنساتي سادتي»... إلى آخر الخطبة...

●

تخيلوا رجلا متعصّبا لذكورته ومتباهيا بأعضائه، يجلس على كرسي اعتراف، ويدلي بالتصريح التالي: "إنني أعترف وأنا في كامل قواي العضلية أن هذا المخلوق المسمّى (امرأة) يملك كل المؤهلات والمقدرات التي أملكها، وعليه فإنني أدعو رسميا الجهات المعنية وغير المعنية، إلى رفع القيود عنه فورا، وتسهيل مساعيه البناءة للحصول على امتياز (التشبه بي)، أي (المساواة)".

نريد من المرأة أن تذهب إلى العمل كي تشارك في الإنتاج، ونريدها أن تنجب المزيد من الأطفال وترضعهم وتربيهم جيدا، ونريدها في البيت أن تقوم بواجباتها اليومية. (تطبخ، تغسل، تكنس، تمسح، تعصر، تنش... وتغير حفاظات الجميع)...

ونريدها أن تمارس الرياضة في أوقات الفراغ، وأن تهتم بمظهرها جيدا.

وقبل أن تذهب إلى الفراش يتعيّن عليها أن تتزيّن وتضع العطر الممتاز، و... تبتسم. هكذا يحصل زوجها على السّرور فيتحمّس وتبدأ الشراكة السريرية؛ مقادير كافية من كيمياء الأنوثة على قليل من فيزياء الذكورة، ثم يتشكل طبق الحب. الحب كما يريده الرجل. أما المرأة فإنها بخير، هذا ما جاء في أحاديث مقدّم نشرة الأخبار ورجل الدين والسياسي المحنك...

المساواة بين الجنسين، تخضع لأداة قياس فرضها الرجل، (باعتبار أن المرأة من ضمن ملحقاته).

إنها مساواة مشوّهة تتبلور داخل إطار السّيادة الذكورية.

الرجل يحقّق المزيد من الخيبات وهو ينتقم من المرأة بأن يدعوها

لتبني خيباته. باسم المساواة الكاذبة.

التاريخ مكتوب بمنظور ذكوري، المدن مشيّدة بحس مناهض لوجود النساء، ونظام العلاقات يفرز فرصا محدودة للأنثى مقابل تنازلها عن سعادتها.

تريدون للمرأة أن تتحرر!؟ إذن هيا نعالج أنفسنا من تلك الحساسية التي تصيبنا كلما حاولنا الإنصات إليها.

مصاب بعقدة ردّ الاعتبار يسمي نفسه؛ (مناضل).

حامل ثأر يسمي نفسه (مؤرخ).

...

...

...

تكلم السيد «حسين خلدون» رئيس لجنة الشؤون القانونية للغرفة السفلى في البرلمان الجزائري، على هامش ندوة نظمتها صحيفة المجاهد، يوم الأربعاء 11 ماي 2011، عن نظام الحصص الخاص بمشاركة المرأة في الانتخابات، إذ اعتبره اعتداء على حرمات الأسر والأوساط (النظيفة). وهذا لا يعني سوى أن إقرار مشاركة المرأة في المنافسة السياسية هو إجبار لها على ممارسة (عمل غير نظيف)، باعتبار أن مجتمع (الجزائر العميقة) يريد أن يبقى نظيفا، بعيدا عن التشوهات. وخروج المرأة للعمل السياسي، حسب كلام السيد «حسين»، هو تمرد على هذه الإرادة. إذ أن مجتمعنا ـ وفق هذا المعنى ـ يطمح لحماية المرأة من ممارسة حقها الانتخابي، أي حقها في ممارسة كل ما هو نقيض النظافة؛ (القذارة والتشوه والرذيلة..). فهذه الأمور السيئة يمكن أن يتعامل معها الرجل بحكمة بالغة، لكن المرأة لا يمكن الاعتماد عليها في ذلك، وعليه فإن السيد «حسين» يقدم نفسه على أنه ممثل للمجتمع

النظيف، وهو على نحو ما ينقل لنا ما يدور في خواطر الناس ويطلب منا أن نواجه نظام الحصص هذا، حتى لا تتورط المرأة في (البحيرة القذرة). لكنه لا يشجعنا على تجفيف هذه البحيرة أو معالجة مصادر القذارة فيها.

إذا افترضنا أن العمل في السياسة أمر قذر، فلماذا يستأثر الـ(رجل) بالقذارة ويحتكرها لنفسه ولا يكون للمرأة هي الأخرى نصيبا فيها.

يقول السيد «حسين خلدون»: (وكأننا نريد أن نخرج المرأة من بيتها في الجزائر العميقة ضد إرادة مجتمعها). هكذا كانت عبارته، وهي توحي لي بصورة كاريكاتورية يظهر فيها رجال حازمون يرتدون ألبسة سوداء، وعلى جباههم تلمع عبارة (الدستور الجزائري الجديد)، يقومون بمداهمة المنازل وإخراج النساء بالقوة والزج بهن في (البحيرة القذرة)، انتقاما من تقاليد المجتمع، فيما يكون هناك رجال من فصيلة أخرى يلطمون على وجوههم وهم يرون نساءهم وبناتهم يتم إدماجهن في فريق مشبوه. وهكذا يسوء حال المجتمع وتتفشى الأوبة والأمراض والمجاعات.

في الواقع إن السيد «حسين»، لم يمعن كثيرا في جلب المخاوف لنا، واستدرك قائلا: لا يليق أن (تظهر المرأة في ثوب القابل للصدقات وغير القادر على مواجهة الرجل في الميدان السياسي.. إن هذا يسيء لصورتها أكثر مما يخدمها).. حسنا.. ألا تبدو هذه العبارة متضمنة دعوة صريحة للمرأة كي تفتك حقها بإرادتها دون انتظار أي صدقة من رجال حازمين يرتدون ألبسة سوداء!؟

بالنسبة لي إنها لكذلك بالفعل، خصوصا أن المرأة (قادرة فعلا على مواجهة الرجل) في الميدان السياسي طبعا، وليس في حلبات الملاكمة.

وهذا ما أقره السيد «حسين»، على افتراض أن مشاركة المرأة في الانتخابات سيسفر على مواجهات قوية بين الرجال والنساء، وسنرى كيف تصمد المرأة خلال كل المواجهات، ثم بسبب تحيز الحكم أو قلة التدريب أو نقص المشاركة، يحدث ما لم يكن في الحسبان وتسقط المرأة بالتصوير البطيء هوووب... هكذا...

في هذا الوقت تصدر موسيقى من خلف المدرجات ونسمع صوتا موحدا واااااو.... ترن... ترن... تكون الصورة إغمائية، ضبابية.. تظهر تفاصيل الوجه.. تنسحب الكاميرا إلى الخلف، بسرعة تجعل العين تنقبض. إنها أمور متعلقة بالإخراج.. و..المؤثرات البصرية.. و.. ما يقال عن خلق التشويق لدى المشاهد الكريم.

نهاية مؤثرة حقا..

المرأة تموت في المشهد الأخير بضربة غير متوقعة ويتأثر خصمها الرجل أيما تأثر. لقد أبلت بلاء حسنا لكن الحظ لم يحالفها.. ويخرج الجمهور المساند لها، رافعا رأسه.

ويقال؛ خسرت المرأة حصتها في الانتخابات لكنها ربحت قصة أليمة في حياتها وهذا هو عزاؤها الكبير.

ليس بالضرورة أن الحكّام دائما يخونون أوطانهم؛ لطالما كانت الشعوب تخون..

...

ألو.. هنا وكالة أعدّوا لهن ما استطعتم الخاصة بالزواج وفق الطلب؛ تمنحك فرصة رائعة للحصول على جميع رغباتك الجنسية، مقنّنة ومشرعنة ومختوما عليها بالأحمر من لدن صاحب البركات. إن لدينا فريقا من خبراء الفتوى يسهر على راحتك، وهو على استعداد تام لتطويع النصوص الدينية ومراوغتها بغرض إيجاد مخارج ومداخل لوضعك الخاص، ومن ثم تتم المعالجة بالطريقة التي ترضيك، فتحصل على المرأة المناسبة لمزاجك المتقلب وتستمتع بها دون أدنى شعور بتأنيب الضمير. ليس هذا فحسب. بل إن النموذج الذي نختاره لك نعمّمه فيما بعد عبر جيش من الصحفيين يعمل في أكبر قنواتنا الإعلامية.

إن موظفينا المهرة، خريجي مدارس الدجل والتدليس، يقترحون عليك في البداية النماذج التقليدية المتعارف عليها، على غرار «زواج المسيار»؛ وهو يناسب المحدودين من حيث الدّخل والموهبة والرجولة والذكاء... لأنها تمكنك من الحصول على طلبيتك في شكل امرأة تستمتع بها دون أن يترتب على ذلك حقوق، زيادة على أن مصاريف

الشحن تكون على حساب هذه المرأة، إضافة إلى هدايا نجبرها على توفيرها لك كسبا لرضاك.

عزيزي الرجل الفائق الامتياز... إن اهتمامنا بجميع تفاصيل حياتك جعل مستشارينا يلتفتون إلى عنصري المتعة والرفاهية أثناء إجازتك الصيفية، إذ لن تكون مجبرا منذ اليوم على اصطحاب زوجتك الحمقاء السّمينة ولن تضطرّ لجلب مومسات ـ كما كنت تفعل من قبل.. قد يعرضنك للخطر. إن فريقنا من خبراء الفتوى يضع أمامك هذا النموذج وهو تقليدي أيضا، إنه «زواج المصياف» ومن أهم ميزاته أنه يعقد في إجازة الصيف دون تحديد وقت الطلاق، وتنتهي صلاحية العقد عند انتهاء إجازتك، وهو موجه للمترفين ورجال الأعمال. كما أن لدينا، عزيزي الرجل الفائق الامتياز، نموذجا تقليديا آخر وهو «الزواج النهاري» ابتدعناه ليشكل موضة جديدة يقبل عليها أصحاب الشخصيات المرموقة والموظفين بالمراكز القيادية الذين ليس لديهم الجرأة على إعلان الزواج الثاني، خشية من الزوجة الأولى، ويفضلون الاختلاء بالزوجة الثانية في أوقات فترات العمل الصباحية.

أما تشكيلة النماذج الجديدة التي نقترحها عليك فهي على سبيل المثال:

زواج الممراض؛ يقوم على عقد قران محدد بفترة مرضك. (شفاك الله وشفانا منك).

زواج «الوناسة»؛ وهو في حالة إصابتك بالسام أو الاكتئاب لا سمح الله، نوفر لك على جناح السرعة امرأة ترفه عليك وتلعب دور قردة أمامك.

زواج «المركاب»؛ يكون أثناء ركوبك السيارة أو الطيارة أو الناقة أو الحمار أو أثناء ركوب رأسك.

زواج«المحجاج»؛ أثناء فترة الحج.

زواج «المحقاب»؛ يكون عادة مع زوجة تهتم بكل أنواع حقائبك؛ ترتبها وتحملها عنك وتسليك وقت الحاجة.

زواج «المنوام»؛ مع امرأة ترعاك أثناء نومك، و«المحمام» لتحممك، و«المرجال» لتعتني برجليك، و«المجراب» لتلبسك جوربك، و«المحذاء» وهي التي تلمع حذاءك وتضعه في قدمك، والمحزام تربط حزامك حول بطنك المتكرشة... و«المئكال» لتساعدك على الأكل، و«المهضام» لتنوب معدتك عن الهضم وتجعل الغذاء يعتمد على نفسه للوصول إلى جميع خلايا جسمك حيثما كانت دون بذل أي جهد منك... و«المشراب» تضع الماء في فمك.

أما زواج «المفراغ»؛ فيقوم على عقد مع امرأة تعمل ليل نهار على إفراغ جوفك من جميع الفضلات الكريهة التي زكمت أنوف أنوفنا. وفي حال حدوث عسر طارئ يرجى الاتصال بنا فورا، ستجد لدينا مزيدا من نماذج زواج «المسهال» وهذا يتطلب منك بعض التضحية...

بينما الفيضانات جارية يقال لنا: «هيا نغير سقف البيت»..!

...

كان قد رآها ذات يوم قبل سنوات عديدة، بعد أن جاءت لتأخذ أختها الصغرى من المدرسة التي كان يديرها، فأعجب بها أيما إعجاب، وما كان له سوى أن ألقى على مسامعها بضعة كلمات من الغزل العفيف. وهكذا خفق قلبها من شدة الصدمة، ذلك أنها لم تتوقع ما حدث فجأة وهي التي عاشت طفولتها في بيت علم وجاه، فلم يخطر ببالها في أي يوم من الأيام أن الشيوخ الأفاضل يقعون في الحب ويخضعون لسلطانه ويؤلفون القصائد الطويلة ويكتبون الرسائل الدامعة توسلا للحبيبة مهما كانت الفوارق بينهما كبيرة، من حيث السن والمكانة وبُعد المكان.

والحق أن الفتاة الجميلة المتفوقة في العلم أخفت الخبر عن أهلها وصارت تلتقي الشيخ الجليل كلما سمحت الفرصة بذلك، إلى أن تدخل أعيان ميزتهم أنهم من قبيلة البنت وفي ذات الحين أصدقاء للشيخ وربما اعتبروا أنفسهم من تلامذته القدامى فتوسطوا للشيخ لدى والدها، وتمّ الزواج.

●

نادى المنادون ليلة الزفاف: أبشروا... أبشروا... أبشروا... إن بركات الشيخ تحيطكم، ورضاه عليكم يفتح أمامكم السبل المغلقة.. أبشروا... أبشروا، وليفرحِ العباد، ويعم الخير أرجاء البلاد، وتدر الضروع وتفيض الزروع، ويعود كل غريب إلى وطنه... أبشروا... أبشروا...

وظل المنادون ينادون عقدين من الزمان. إلى أن جاء رسول شؤم وأخبرهم أن الشيخ الفاضل هجر زوجته، وقطع حبل الوصل بينه وبينها، فقامت الدنيا ولم تقعد. وتناقل الأهالي خبر الطلاق، فتجهمت الوجوه وانقبضت السرائر وانعقدت الألسن.

●

أُنظروا، إنها خريطة دولة وليس مجرد قبيلة بناتها يصلحن زوجات للشيوخ الأفاضل. فكفوا عن الترهات وانتبهوا إلى عملكم.

إن بينكم الآلاف المؤلفة من النساء المطلقات والأرامل والمعوزات فحري بكم أن تولوهن اهتماما وتناضلوا من أجلهن حتى لا يصيبهن الغبن وضيق ذات اليد. أما أرملة الشيخ فهي بأحسن حال، لا ينقصها سوى أن تتركوها وشأنها بسلام.

●

بعمليات تزاوج ممنهجة ومكثفة، يتم الزج بنا
في هذه الحياة؛ ألا توجد ثمرة حب بيننا!؟

المجد للذة..

●

في الماضي كنا نعلم أولادنا كيف يتّحدون ضد اللصوص المحتملين.. اليوم؛ نعيش على احتمال أننا سننجح في مهمة منع أولادنا من الالتحاق بفريق اللصوص المتحدين ضدنا.

...

كل الأماكن مهددة بالاندثار في الجزائر العاصمة، ولا يبقى إلا ما تحفظه ذاكرة زائريها؛ ساحة الشهداء، ساحة الأمير عبد القادر، شارع ديدوش مراد، ساحة أول ماي، مقام الشهيد، قصر الحكومة، البريد المركزي، جامع «كتشاوة»... وهذا كل شيء.

أما بالنسبة للمقيمين فيها، فإنهم لا يتوقفون عن ترديد المئات من الأسماء وهم يتحدثون عن مكان واحد، حتى يخيل لك أنك ستعيش طيلة حياتك تحاول فهم ما يقولون دون أن تصل إلى المكان الذي أنت بصدد البحث عنه.

دائما كنت حريصا على اكتشاف خبايا الجزائر العاصمة بنفسي، فسكانها لا يجيدون الحديث عنها، وكنت أضع أسماء خاصة بي لبعض الأماكن فيها، وأنسى كل ما تعلمته من الآخرين عنها. إنها مدينة مغلقة لا تفتح لك ذراعيها إلا إذا أصابك تمنعها عنك بحمى شديدة.

في يوم ما من سنة ما، تعرفت على أصدقاء رائعين؛ نجيب أنزار، عمار

مرياش، نصيرة محمدي، رشيدة خوازم... وكنا نلتقي في مقهى قريب من الجامعة المركزية، لا أتذكر اسمه. وبعد أيام تعرّفت على أصدقاء آخرين وصار هذا المكان محببا لديّ.

وفي يوم ما من سنة ما، وضعت الصديقة الشاعرة «رشيدة خوازم» قطعا من حجر أسود في يدي قائلة: «هذا ما تبقى من مقهانا، لقد هدموها». وبدت متأثرة جدا... ثم أضافت: ((سأحتفظ بها)).

لا أدري في هذه اللحظة إن كانت «رشيدة» لا تزال تحتفظ بهذه القطع الحجرية الصغيرة، لكنني على يقين أنها ككل الأصدقاء الآخرين تخلت عن عشقها للأماكن حتى لا تصدم بقرار هدم يأتي على جزء من ذاكرتها.

والواقع أن هدم الذاكرة تم بطريقة منهجية طيلة سنوات الإرهاب، وصار لكل صديق مقهاه الخاص به ولم نعد نلتقي جماعة.

في 1989/ 1990 الفصل الأهم من حياة الصعلكة بالنسبة لي.

كنت أتنقل بين المدن الجزائرية وأكتب الأشعار عن الضياع والغربة والزيف ورحلة البحث عن الحب الكبير. وكانت قسنطينة مدينة أحلامي الرائعة في تلك الأيام، فاخترت البقاء فيها لأطول وقت ممكن لعلني أحظى بقصة حب تنسيني آلام الدنيا أو أكتب قصيدة تلفت انتباه الجميع. وبالفعل وقعت في الحب ولم يبق لي إلا أن أنجز قصيدة تليق بهول هذا الوقوع. وهكذا كان عليّ أن أجد مكان هادئا لأمارس طقسي المفضل؛ الكتابة.

مقهى البوسفور، وسط قسنطينة، لم يكن مجرد مكان شاعري بل قطعة من قلبي.

كنت أجلس على طاولة قريبة من نافذة زجاجية وأطل على حديقة رائعة، وأكتب بحماس شديد. كل زبائن هذا المقهى أشخاص قادمون من كوكب آخر؛ هادئون وفي أعينهم حنين غامض. بعضهم يدخن ويتناول القهوة الساخنة، وبعضهم الآخر منهمك في قراءة جريدة «النصر»، وبعضهم يتحدث في مواضيع شتى، عن الحياة وبرامج التلفزيون وصعوبة تربية الأولاد.

كان لهذا المقهى الرائع تأثير عميق في حياتي، ففي أجوائه الخاصة كتبت قصائد ممزوجة برائحة التبغ والشاي والقهوة القسنطينية الآسرة.

في خريف 1990 وصلتني رسالة من فتاتي التي كنت أدعي أنها ملهمتي وكنت ألتقيها يوميا في ساحة «لابريش»، أخبرتني فيها أنها سترحل مع أهلها إلى فرنسا وأن قصتي معها انتهت فعليا، ولا أدري إن كانت قد أهدتني قطعا من حجارة صغيرة هي كل ما تبقى من صرح حبنا الذي لم يكتب له أن يكون كبيرا.

في السنوات الأخيرة تغيّرت الأمور.. قسنطينة لم تعد عاصمة ثقافية كبيرة، ولم يعد الرحيل إليها مجديا، والجزائر العاصمة استبدلت الأماكن بالأسماء، فلم يعد هناك شعراء يلتقون في المقاهي، أو بالأحرى لم يعد الشعراء يلتقون إلا في المهرجانات والملتقيات، بالفنادق الفخمة، ويتبادلون الأحاديث الحذرة، فيما المقاهي امتلأت بالشباب المولع بالرياضة.

اليوم لا مكان للمقاهي في حياتنا. إن موقع «فيس بوك» هو المقهى الوحيد الذي يلتقي فيه الجميع ليضع كل واحد منا في يد الآخر قطعا من حجارة الزمن الذي ولى.

غدا تقول «رشيدة خوازم»: هذا ما تبقى من حياتنا، لقد هدموها..

أمس... أقول أمس، وأعني بهذا؛ «آخر يوم لم نكن فيه معا».

غدا... أقول غدا، وأعني بهذا؛ «أول يوم قد نكون فيه معا».

...

أمس حطّت غيمة قربي وأهدتني قطرات من الرذاذ ثم مرت إلى حال سبيلها. وخطر ببالي أن أسمع المرحوم الشاب حسني؛ في رائعة؛ «طال غيابك يا غزالي..». كما في أيام الشباب الأولى حيث كان الأولاد والبنات في الجزائر يتحدّون بالحب يومياتهم الدامعة، أثناء المأساة الوطنية.

كان الشاب إذ يفشل في الوصول إلى قلب حبيبته يتّخذ من حسني شفيعا له فيهديها شريط كاسيت وهكذا تقع البنت في غرامه من الطابق 77. كان الجميع يعيش حالة حب قصوى، الجميع ينتصر على مشاهد الاغتيالات وتردي الاقتصاد وهبوط سعر البترول.

ذات يوم وقفتْ شابة ترتدي سروال جينز أبيض أمام بوابة الجامعة المركزية بالعاصمة. كان في الشارع المقابل مسيرة سلمية لمناضلي

الـ»فيس». شعرت بخوف من المستقبل وبخيبة تتسرب إلى أعماقي. كان المناضلون يمشون عبر كتل بشرية متلاحقة، جواربهم ظاهرة وفي عيونهم إصرار شديد.

كنت أنظر إليهم حينا وحينا إلى تلك الفتاة. وقلت أقترب منها.. أظن أنني اقتربت منها بالفعل، لكنها همّت بالانصراف قائلة: «تشاو»، ولوّحتْ بيدها، فلوحتُ لها طبعا. ضحكتْ وأعطت إشارة توحي أنها لا تقصدني البتّة إنما تقصد شخصا آخر؛ فتي في مثل سني يبدو أنه تأخّر عنها وهو يكلّم صديقا له فغضبتْ بشّدة.

في اليوم الموالي التقيتها وكنت أنظر إليها فقط ولا أقوى على التعبير لها. في الواقع لم يكن لدي ما أعبر عنه سوى أنني مولع بها إلى درجة أنني مستعد أن أفقد إحدى كليتي وجميع أصدقائي مقابل أن أحصل على قبلة منها.

بقيت على هذا الحال أياما وانتشرتْ قصتي بين زميلاتها وزملائها الذين تعاطف أحدهم معي فأخبرني أن عليّ تغيير أسلوبي لأقنعها بهذا الحب الأفلاطوني. قلت له: «أنا شاعر وبوسعي أن أكتب قصيدة من مئة بيت على البحر الطويل». ولم يفهم زميلها هذا ما علاقة البحر بالحب، وظن أنني سأنتحر غرقا أو ما شابه. قال لي: «لدي خطة جيدة لتحصل على فرصة مع صاحبة الجينز الأبيض». بادرته بالقول: «إلي بها». وكان رده: «أهدها أغنية للشاب حسني».

في هذا اليوم استمعت للمرة الأولى لرائعة «طال غيابك يا غزالي»... واشتريت نسخة من كاسيت تلك الأغنية بها صورة حسني ووضعته بين يديها.

كان موقفا رائعا عندما هبت الفتاة واقفة وشكرتني بعمق قائلة لي: «هل تعرف... إنني كنت أفكر بالشاب حسني الآن؟». وأضافت: «كان ببالي هذه الأغنية وكنت أرددها في سري». وأخبرتني أنها تحب كثيرا أغنية «قاع النسا اللي فوق أرض ربي»... صرنا نلتقي كثيرا لنتحدث عن حسني وكنت أحاول الحصول على أخباره لأكسب إعجابها، وهكذا مرت الأيام.

نسيت أنني أريد منها قبلة واستهوتني هذه الأخوة في حب الشاب حسني.

في 29 سبتمبر 1994، اغتال المتوحشون ملك الحب في الجزائر واغتالوا قصتي هذه.. تبا لهم.

وقال: «في موسم الحر؛ لا تكتبوا لحبيباتكم عبارة (أنت شمس حياتي)... في إشارة منه لما يسمى بـ(اختيار التوقيت المناسب)».

في السنة الأولى ابتدائي لم أكن متفوقا في الدراسة، كما أنني لم أكن متأخرا فيها، ولا بين بين. إنني باختصار جلست بسلام، منذ البداية، كبقية خلق الله من التلاميذ، في أول حصة دراسية، ونظرت إلى الأمام حيث تحتل تلك الرقعة الخشبية المسماة سبورة الجزء الأكبر من الحائط. وبقيت أنظر إلى الأمام.. وأنظر.. وأنظر وهكذا مرت الأيام.

كان المعلم، واسمه «عباس»، يتكلم بينما يقوم بحركات غريبة، لا يقوم بها بقية الرجال من أمثال والدي وعمي المداني. وكان يمشي بين الصفوف، واثقا أن ما يفعله هو الشيء الصحيح على الإطلاق.

كان زملائي يرفعون أيديهم ويطلبون منه الكلام بعبارة: «سيدي.. سيدي»... وأنا لا أفهم لماذا يفعل زملائي هذا، ولماذا يظل المعلم هادئا ولا يتجاوب مع حماسهم!

لو أتيح لي يومها أن أقدم تعريفا لشخصية المعلم لقلت: إنه شخص يملك ملايين الحيل لجعل التلاميذ، في أيه لحظة يشاء، يتسابقون للحصول على إذن بالكلام. إنهم يتسابقون إليه ويتسابقون.. بينما هو لا يتفاعل، كأنه يتشفى فيهم. ولسان حاله يقول: ها قد استغفلتكم..

وحدي كنت على دراية تامة بحيل المعلم، ولهذا لم أمكنه من شرف الحصول على رؤية إصبعي مرفوعا طلبا لكلام سينتهي إلى لا شيء.

كانت لدي محفظة مليئة بالأدوات وقطع الخبز، وكنت أرتدي قميصا أبيض به جيب صغير، وفي ذلك الجيب وضعت أمي ذات صباح منديلا جميلا، وأوصتني أن أحافظ عليه وألا أسمح لأحد أن يسرقه مني. وعليه فقد كانت المدرسة لا تعني لي سوى مكان أقضي فيه بعض الوقت، ثم أنصرف دون أن أكون قد فقدت المنديل.

لقد كانت تسألني أمي بين الحين والآخر، خلال السنة الدراسية، إذا ما كنت قد تعلمت شيئا، فكنت أقول لها كلاما مفاده أنني لم أفقد أي شيء في المدرسة، وخاصة المنديل.

لم يكن المعلم يؤنبني ولم يكن يطلب مني أي شيء، وكنت أجد أن العلاقة بيني وبينه مفهومة ومؤسسة ولا غبار عليها.

هو يتكلم وأنا أبقى صامتا، هو ينظر إلى رسومات في السبورة، وأنا عيني مصوبة على جيب قميصي حتى لا يضيع مني المنديل وأفشل في مهمتي.

كنت أنا وهو... أنا أو هو، فقط، في القسم.

وكان على جميع التلاميذ أن يبقوا طيلة الوقت موجودين. لقد اكتسبت هيبة خاصة من جراء انسحابي التام من المشهد.

زملائي صاروا يفهمون هذا واعتادوا على أن المعلم هو قائد الفصل، وأنني أنا أيضا قائد، من نوع خاص، لمجرد أنني وحدي غير المعني بقيادته. والمحصلة: الفصل به معلم وتلاميذ وأنا.

●

حتى يتموج شعره الأشقر مع الماء، وهذا ما يفعله عادة ليكسب إعجاب الجميع.

كان شعري عاديا وكان شعر «النوي» أكرد ورأسه مدببا، لهذا كان «بلقاسم» يحاول تمويج شعره تحت الماء كل مرة. وبينما هو يفعل ذلك، كانت يد تمتد إلى سترته المرمية جانبا قرب الحوض. وتسحب المنديل.

●

حان موعد الانصراف.

أخذنا المزيد من الرمان وودّعنا «النوي» متجهين إلى بيت جدتي.. وهناك اكتشف «بلقاسم» أنه فقد منديله.

يا للكارثة!.. ها قد حدث ما كنت أحذره منه دائما، لكنه لم يكن يسمع الكلام.. وها هو اليوم يخسر فيه «بلقاسم» كل شيء.

إن جميع ادعاءاتي إزاءه لم تكن باطلة، وتحاملي عليه لم يكن من فرط غيرتي منه، لتفوقه في المدرسة، بل كان حقيقة تأكدت يوم فقد سنه في مضغة لوبيا، ولم ينتبه. واليوم يفقد أهم شيء توصي به الأمهات أبناءهن، كما أوصتني أمي، فبذلت أقصى ما لدي للفوز بعدم خسارة المنديل، بينما خسره «بلقاسم» وهذا دليل على غياب حس اليقظة لديه. فهل تنفعه محاولاته المستمرة للحصول على إذن بالكلام من المعلم!..

في المساء نمت بسلام بانتظار يوم غد، يوم جديد، لا مكان فيه لـ «مبدأ الأمان» الذي كان مفيدا في المرحلة السابقة، لكن لا مبرر... إن منديلي اليوم في جيب سترتي، بينما «بلقاسم».. لا منديل في جيب سترته، بعدما امتدت إليه يد وسرقته.. يد لم تكن إلا يدي.

نلعب معا ونجلب الحطب لجدتي (التي هي جدته أيضا)، حتى تعطينا حلوى الكابريس. وكنا نتقاسم الطاولة في الفصل وفي المطعم المدرسي، عند «عمي الهاني».

كنت أقول لجدتي، إن «بلقاسم» مغفل، وحجتي في ذلك أنه فقد أحد أزرار قميصه بفعل فاعل، وفقد أيضا عددا من خُشّيباته وقُرّيصاته ومقبض مقصه والأسوأ من ذلك أنه غير متيقظ دائما، وقد يفقد أي شيء في أي لحظة.

كان «بلقاسم» طفلا شديد الطيبة ولا يهتم بالتفاصيل. كان يدعني أتمادى في إثبات تفوقي عليه أمام الجميع، مكتفيا بالدفاع عن نفسه. وعندما تخونه إرادته يلتزم الصمت، ونظل صديقين.

في أحد الأيام دخلنا إلى المطعم المدرسي الذي يديره عمي «الهاني»، أكلنا «اللوبيا» بسرعة، ثم خرجنا لنلعب «القروتة» تحت نخلة «سيدي عزاز» المباركة، وسخرنا من المارة.

كان «بلقاسم» لا يجيد السخرية من الناس، كما أفعل أنا، لكنه يساهم في إعطاء بعض الأوصاف غير المتوقعة. حتى نصل إلى صورة مضحكة عن شخص ما، ثم نشرع في الضحك ولا نتوقف أبدا.

كان «بلقاسم» يفتح فمه بلا نهاية، ويطلق صوتا مختنقا، هو أقرب إلى الخشخشة منه إلى الضحك، ثم يحمر وجهه ويسيل الدمع من عينيه. وضحك «بلقاسم» يومها كثيرا لكنني لم أضحك، بل بقيت أنظر إليه وأتساءل عن غياب إحدى أسنانه. يا إلهي أين تكون قد ذهبت؟ ولماذا أخفى عني الأمر؟؟... هل ساعدته جدتي في نزعها وطلبت منه أن يرميها باتجاه الشمس ويردد عبارة: «يا الشمس هاكي سنة الداب

وهاتي سنة لغزال»..؟ أيكون قد فعل هذا أثناء غيابي عنه؟

- «بلقاسم» وين راهي سنتك؟

- ...!...

وفوجئت أنه مد يده ليتحسس أسنانه ووجد أن إحداهن مفقودة فعلا.. وأقسم أنه لا يدري أين ذهبت.

في آخر الأمر بعد تحريات طويلة اكتشفنا أنه ابتلعها مع «اللوبيا». لقد سقطت من مكانها ومرت في لقمة إلى جوفه. قال لي يومها: إنه يشعر بوجود شيء ما في بطنه والأرجح أنه السن المفقودة.

أنّبته في ذلك اليوم وأخبرته أنه بالفعل شخص غير متيقظ، وأنه معرض لفقد المزيد مما يملك، مع مرور الوقت.

كان هذا الحدث دليلا على صدق ادعاءاتي السابقة بشأن ضعفه الواضح في الاحتراس من خطط الآخرين المتربصين به شرا.

- هل تعلم أنك ذات يوم ستفقد منديلك.. ستفقده يا «بلقاسم» وتخسر كل شيء!؟

●

وحلّ ذلك اليوم بالفعل؛ لقد امتدت يدٌ إلى جيب سترته وسحبت المنديل، بينما كان هو يقوم بالغطس في حوض للسقي، في بستان عمي «السعودي»؛ والد زميلنا «النوي»، الذي قبلت أنا و«بلقاسم» صداقته، مقابل أن يسمح لنا بأخذ الرمان من بستان والده والدخول إلى الحوض ذي الماء الصافي.

وضع «بلقاسم» سترته وأخبرني أنه سيغطس ويقوم بتحريك رأسه

في البداية كانت نفسي تسول لي أحيانا أن أطرح سؤالا مزعجا حول ما يمكن فعله لأفقد امتيازي وأندمج مع الآخرين. لكن سرعان ما كنت أطرد هذا السؤال من رأسي وأتحرر من تبعاته نهائيا.

هل من أحد عاقل يناضل ليخسر صفة الامتياز..!؟

كلا.. لا أظن ذلك، فأنا في النهاية أقوم بدوري على أكمل وجه. إنني أعتمد مبدأ الأمان. فإذا لم أربح ما يمكن ربحه، فإنني على الأقل لا أخسر ما أملكه حتى الآن. وعليه فيقظتي المستمرة هي دليل تفوقي في الحفاظ على التوازن المطلوب لكسب الرضا عن النفس، كيف لا وقد مرت أشهر دون يتجرأ أحد على سرقة المنديل مني..!.

كما أن زملائي أثبتوا، بما لا يدع مجالا للشك أنهم مغفلون، يتعرضون للاستدراج ولا يتعظون. إنهم واقعون تحت ذلك السحر الذي يمارسه عليهم المعلم.

لقد كشفت حيل المعلم فأبطلتها، وكشفت ضعف التلاميذ، وآن لي أن أستثمر ضعفهم لحسابي.

إن مبدأ الأمان كان مفيدا في المرحلة السابقة، لكن لا مبرر له اليوم..

ماذا لو أسعى للربح؟.. أقصد هنا ربح المزيد من المناديل، مع الاحتفاظ بمنديلي الذي أوصتني أمي ألا أسمح لأحد بسرقته مني. باختصار ماذا لو أسرق مناديل زملائي المغفلين؟

●

كان «بلقاسم»، (وهو ابن خالي) أقرب أصدقائي، وكان واحدا من الذين يرفعون أيديهم للحصول على إذن بالكلام من المعلم. كان لديه هو أيضا قميص أبيض ومنديل وأدوات مدرسية جيدة. كنا متلازمين؛

الإخوة باسم الأرض.. الأرض أولا؛ لا شأن لي بأخوة في السماء.

أم سعد أستاذة لغة فرنسية في إحدى الإكماليات بإحدى مدن الجنوب. ترتدي جلبابا ونقابا، ولديها هاتف نقال، على شاشته صورة مكة المكرمة. يطلق نغمات بين الحين والآخر لصوت رجولي يقول: «هاتفك يرنْ يا ولد العم» أو شيئا من هذا القبيل.

أم سعد بمجرد تخرجها في الجامعة سنة 2005، أكملت نصف دينها مع شاب كانت قد واتتها الفرصة للتعرف عليه، فهو متدين كريم وعلى خلق. لقد حصل الوفاق بينهما فتزوجا بسرعة بعد أشهر قليلة من تخرجها.

حجّت أم سعد إلى البقاع المقدسة مع زوجها وحصلت بعد ذلك على وظيفة أستاذة لغة فرنسية، وهكذا فإن حياتها تبدو هانئة مستقرة.

سمية تلميذة أم سعد، بالسنة الرابعة متوسط، لديها ثلاثة إخوة وتتمنى أن تكون لها أخت ذات يوم.

أمها تشتغل بصيدلية، وفي أوقات الفراغ تقوم بنشاطات أخرى، أهمها عضويتها بجمعية تهتم بما يسمى «محو الأمية» في وسط النساء بقريتها.

والد سمية فنان تشكيلي يقضي ساعات طويلة في مرسمه مع لوحات

فنية رائعة عن الثقافة المحلية وحياة الفلاحين وسكان الأرياف.. وهو في الفترة الأخيرة ينفذ مشروعا كبيرا، دون مساعدة من أحد. إنه يجمع مئات الصور لوجوه نساء جزائريات ويتأملهن ليكشف النقاط الجمالية المشتركة بين ملامحهن، ونقاط الاختلاف حسب الجهات والمناطق.

يقول والد سمية دائما: «سأرسم كل وجوه النساء الجزائريات في سلسلة لوحات وأحتفي بجمالهن»، ثم يضيف:»عندما أنهي مشروعي هذا سأرسم لوحة كبيرة وأسميها «المرأة الجزائرية».

سمية تعلمت من والدتها حكمة مؤثرة مفادها، «أن الجزائر ليست لكل الجزائريين بل هي لكل من يُثبت أنه جزائري»، وتعلمت من والدها حب الألوان والناس البسطاء والمناظر الطبيعية وتلك الأشياء الجميلة المعرضة دائما للنسيان.

قبل شهر طلبت الأستاذة «أم سعد» من تلاميذها ـ وكانت من بينهم سمية ـ إعداد بحث عن شخصية مهمة؛ أدبية كانت أو ثقافية أو فنية... وذلك باستعمال الإنترنت.

اعتبرت سمية أن سحب البحوث جاهزة ـ من محلات الكومبيوتر ـ عادة سيئة؛ فيها الكثير من الاتكال والغش والتحايل المبرمج. لهذا قررت أن تكتب عن أعمال والدها الفنية فانضمت إلى فريق من زميلاتها وزملائها يتكون من خمسة عناصر ممن حبذوا الفكرة، ثم شرعوا في التنفيذ.

بعد أسبوع من العمل الجاد نجحت مجموعة سمية في إنجاز بحث جيد تناولت فيه فكرة الفن ودوره في إحياء العادات والتقاليد والحفاظ على الشخصية المحلية.

لما سلمت مجموعة سمية البحث مرفقا بصور لنساء جزائريات إلى المعلمة «أم سعد» فوجئت المجموعة المجتهدة بتذمرها واحتجاجها عليهم بحجة أن الصور تعرض نماذج لنساء يرتدين «الحايك» وأخريات بلباس مطرز، به أشكال هندسية متعددة، وفتيات يؤدين رقصات شعبية... وهذا ما لم يرق أستاذة اللغة الفرنسية «أم سعد» التي بادرت بتوبيخ سمية موجهة لها كلاما قاسيا أنهته بهذه العبارة: «أخبري والدك ألا يرسم النساء، وإذا كان لا بد له من رسمهن فعليه أن يلفهن بلباس شرعي، كهذا الذي أرتديه أنا...»... وأشارت أم سعد إلى جلبابها ونقابها الأسودين.

امرأة متزوجة؛ تسخر (جهرا) من جارتها غير المتزوجة، لكنها سرا تسخر من نفسها..

...

تحية إنسانية وبعد:

أنا «ع.م» ولي التلميذ «م.م»، الذي يزاول تعلميه في مدرسة «....» بالدوسن، بقسم السنة الرابعة ابتدائي. وقد حصل على معدل 8.49، أي الرتبة الثانية حسب المعدل العام، كما أنه متفوق في مادة اللغة الفرنسية التي تقومين ـ سيادتك ـ بتلقينها له باعتباره أحد تلاميذك منذ السنة الماضية. وطيلة هذه المدة كانت الأمور تسير بطريقة جيدة. لكن ما جعلني أُكاتبك هو تصرف غامض قمتِ به إزاء ابني بداعي معاقبته، وأودّ الحصول على تفسيرات منك، إذا تكرمت بذلك.

في يوم 05/ 05/ 2013، كان ابني جالسا بجوار زميل له، وكنت تلقين درسك، ثم حدث أن تناوش الاثنان (ابني وزميله)، فأمرت ابني، بدافع معاقبته، بأن يجلس في الطاولة الثانية من الصف، بجوار

زميلة له (أنثى= مختلفة عنه من حيث الجنس) كانت تجلس بمفردها.

على ما يبدو ـ وهذا ما آسفُ له جداـ أن ابني تأثر وشعر بالخجل، معتبرا ما بدر منك إهانة قصوى له. والواقع أنني ربيت جميع أولادي على احترام المرأة وتبجيلها وعلمتهم أن الناس سواسية، بغض النظر عن الجنس واللون والعرق واللغة.. أتكونُ المدرسة قد شوهت في نظرهم هذه القيم..!؟.. إذا كان الأمر كذلك فسنكون جميعا في المستقبل نتحدث عن حماية الأجيال من المدرسة..

رغم ذلك فإن ابني نفذ الأمر وجلس إلى جانب زميلته، لكن ما حدث أن تلميذا آخر نظر إليه بعين السخرية، وضحك من الوضع المزري الذي آل إليه ابني، بسبب عقوبتك عليه.

طبعا، بفضل ملاحظتك الشديدة فقط رصدتِ فعل السخرية الذي بدر من التلميذ سالف الذكر. فما كان منك إلا أن أمرته هو الآخر بالجلوس بجانب التلميذة وعفوت عن ابني بأن جعلته يعود إلى مكانه الأصلي.

الواقع، إنني لم أفهم مطلقا ما معنى هذه السلوكات العقابية، وأطالبك بتقديم توضيح حقيقي. فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن أتقبل فكرة مأساوية مفادها أن: (جلوس الأولاد إلى جانب البنات عقوبة). إذا كانت بالفعل كذلك فهل هي عقوبة تستهدف التلميذ أم التلميذة؟

ثم دعينا نفكر في نظرة التلميذة لنفسها، وهي ترى أن المقعد الفارغ بجوارها هو في الأصل ساحة عقاب.. إنه لشيء صعب وبائس حقا، يدفعني لأن أعتبر أن العقوبة طالت الجميع.. وأن الأذى تقاسمه ابني

والتلميذ الذي جرت معاقبته فيما بعد، وأكثر الأذى كان من نصيب التلميذة التي كانت تتابع درسها في سلام وإذا بها تتعرض للتنكيل دون أن ينتبه لها أحد.

الآنسة الكريمة، أطالبك بإعطائي توضيح حول ما ذكرته لك في سياق هذه الحادثة ولك جزيل الشكر.

●

أنتِ لعبتي؛ لعبتِي التي تلعبُ بي..

●

المشكلة الوجودية الكبرى أن جميع النساء رائعات؛ لا وجود لامرأة غير جميلة.. ثمة ـ فقط ـ نساء يصعب اكتشاف جمالهن..

...

...

المرأة الأولى: لا تستطيع أن تعيش من دونها، لكن، بالمقابل، لا تستطيع أن تعيش معها.

المرأة الثانية: تحب فيك شيئا وتتمسك بنقيضه..

المرأة الثالثة: لا تحبها ولا تستطيع تركها.

المرأة الرابعة: تسمح لك أن تقودها، لكن إلى حيث تريد هي؛ وبهذا المعنى تكون أنت قائدها الوحيد الذي يسير وراءها.

المرأة الخامسة: تكرهها وتحب ما لديها (مما لا غنى لك عنه)؛ الحلوى.. تلك التي يكلفك ثمن الحصولعليها تجرع المزيد من المرارة..

المرأة السادسة: تطلق الرصاص عليها فتصبح امرأتين..

المرأة السابعة: خائفة أن تتركها.. وأنت – بالتأكيد – ستتركها مادامت خائفة..

المرأة الثامنة: يؤلمها أنك لا تشعر بحالها بينما هي مستمرة في حبها

لك، وأنت.. لطالما كنت تحبها، لكن لطالما كان

يؤلمك أنها تتألم بسببك؛ لهذا أنت تفضل أن

تراها سعيدة على أن تراها (تحبك)..

المرأة التاسعة: تخطط للتخلص منها بسبب لوثة في رأسها،

وعندما تنجح في التخلص منها، تنجح هي أيضا في

إزالة اللوثة.. وهكذا تصير رائعة فتقرر استعادتها؛

إذا هي عادت إليك ستعود اللوثة إلى رأسها..

المرأة العاشرة: أنت وهي؛ مثاليان لبعضكما.. لأنكما ـ أنت وهي

ـ كلاكما لوثة في رأس الآخر..

كنا صغارا؛ أسرتنا غمزة «سميرة توفيق» فأفلتنا من قبضة «داعش»..

...

عاش في بيتي قط، كنت أظنه أليفا لكن فيما بعد، اكتشفت أنه جبان، قام بقتل صغار قطة هي الأخرى عاشت في بيتي، منذ أن جاءت لاجئة تحمل في بطنها قططا صغيرة. وحدث أن القط، سالف الذكر، قتل صغار القطة الوافدة، بمجرد أن وضعت حملها. مع الوقت تبين أن تلك الصغار من صلبه؛ لقد كان على علاقة بالقطة الأم.. (علاقة في الحرام طبعا)

بسبب سلوكه هذا، قمت بطرده؛ (أقصد القط القاتل).. وهو الآن يعيش في الشارع، (انتقل إلى الحياة العملية)، ربما يحاول حماية نفسه من القطط المتشردة الأخرى، يحاول ويحاول، لكنه على الأرجح، لا يفلح..

أصفه بالقط الجبان، لكونه أراد أن يهاجم فريسة، فبحث عن فريسة أليفة في البيت: فعل ذلك ليتحرر من عقدة الصيد..

طردته إلى الواقع العملي ليكتشف الحقيقة هناك. إنه جبان وليس أليفا.

القطط الصغيرة لم تنتحل شخصية فريسة في الغابة؛ القط الجبان نظر إليها على أنها كذلك... صنع خدعة وانخدع لها؛ (هذا انتحال خطير)..

...

أمس سألت الأولاد عن القطة الثكلي، قيل لي: «إنها رحلت معه»...

كيف لي أن أصدق امرأة لا تكذب!؟

...

قالت امرأة:

إن الرجال؛

تافهون، سطحيون، متعالون، سيئون، أنانيون، غامضون، مزاجيون، بوهيميون، سوداويون، مزيفون، اتكاليون، سلبيون، متوحشون، نفعيون، منافقون، منغلقون، كافرون بالنعمة.. يتنكرون للعشرة، متقلبون، عبثيون، جامدون، خيالهم محدود... جشعون ومرضى...

سُئلتْ؛ «لماذا؟»...

أجابتْ:

«أحببت 100 رجل وكانوا جميعهم كذلك»

بَكَتْهُ بحرْقة، لكنْ بعين واحدة؛ (ماتَ زوجُها المسكين وهو على ذمتها).

...

أصابه الوهن والكسل الشديد فهو لا يقوم بتوفير السكن لحبيبته، بل ينتظر بلوغها سن الرشد ويقوم بخطبتها بعد ذلك، فإذا وافقت وهي عادة توافق بلا تردد، تقوم هي على الفور ببناء بيت على طريقتها الخاصة وتجتهد في تزيينه وتأثيثه وإضاءته حتى تضمن وفاء خطيبها، وفي ذلك البيت تجري فيها بعد مراسم القران.

يلجأ الزوج العنكبوت، في ليلة الدخلة، لإغراء زوجته العنكبوتة بالتقرب إليها من خلال افتعال الموت، بعد أن يضع في فمه «هدية الزواج» التي يمكن أن تكون ذبابة اصطادها لهذا الغرض.

عندما تنقض الأنثى على هذه الفريسة السهلة في فم الزوج المستغرق في تمثيل دور الميت، يفاجئها هو بالإنقضاض عليها في لمح البصر ويجردها من ملابسها.

يقوم الزوجان السعيدان بممارسة الحب على سريرهما المكلل بحبات اللؤلؤ والكريستال؛ شغل يد العروسة الرائعة.

عادة ما يجتهد ذكر العنكبوت في إبهار أنثاه بقدراته العاطفية وثقافته الجنسية الفائقة، مستغلا فترة خصوبتها؛ حيث تكون عواطفها جياشة

وحماسها للعشق لا نظير له، وما إن ينجح الذكر في تلقيح أنثاه حتى يحدث ما لم يكن في الحسبان؛ حيث تغادر الأنثى بيتها وتلجأ إلى مكان بعيد في جزيرة خالية؛ لا شبكات اتصال.. لا طرقات.. لا هواتف عمومية.. لا بث تلفزيوني.. لا جرائد ولا أنترنيت.. ويكون زوجها في هذا الوقت قلقا وحزينا، يتصرف كالمجنون. يبحث عنها ليل نهار.. يسأل هنا وهناك.. يتصل بأقسام الشرطة والمستشفيات ومكاتب الخطوط الجوية، لكن بلا فائدة...

في آخر الأمر تراوده مخاوف بأن تكون جماعة إرهابية اختطفتها... يا للمأساة حقا! سيظل الزوج الذي لم ينعم بالسعادة طويلا بانتظار اتصال من عنكبوت إرهابي شرير يطالبه بفدية...

بعد فترة يستسلم الزوج للأمر الواقع، يلزم بيته؛ لا يخرج للناس ولا يستقبل أحدا ويكتفي بمشاهدة صورتها معلقة أمامه.. وقد يفكر بكتابة قصيدة حزينة، بل إنه فكر حقا وها هو يضع أولى الكلمات على صفحة بيضاء.

إن العبارات لتأتيه طازجة ومكتملة وهو يدونها تباعا.

وما أن يرسم نقطة النهاية لآخر سطر في القصيدة حتى تكون الزوجة في جزيرتها البعيدة تحط بيضتها الأخيرة. ينام الزوج الوحيد ويستغرق في حلم بأن زوجته ستعود ويسعد بلقائها وهو لا يدري بأنها بالفعل في طريقها إلى البيت.

إنها عائدة الآن مسرعة الخطى.

في لحظة هي أشبه ما تكون بقصة غير واقعية، يسمع الزوج رنين جرس الباب في الحلم فيقوم من فراشه ويفتح... يا للمفاجأة! إن

حبيبته أمامه بكامل أنوثتها وجمالها... هل هو في حلم..؟

لا أهمية للإجابة. إن زمن المأساة قد ولى ويندفع إليها ويأخذها في حضنه ويحملها إلى الداخل؛ سيل من القِبلات والدموع والآهات الملتهبة.

- أنا أحبكِ إلى درجة الموت..

- وأنا أيضا أحبك إلى درجة أنني أريدك أن تموت.

وتنقض الحبيبة على حبيبها وتقتله لأنه أثناء ممارسته الحب معها ترك جسما غريبا منه داخل رحمها ليقطع الطريق على المعجبين الآخرين من منافسيه ويضمن وجود ذرية خالصة من صلبه لا تختلط بـ"أنساب" غيره، وهذا ما اعتبرته بطلتنا العنكبوتة خديعة لا يمكن نسيانها.

منذ كفّتْ الجزائر أن تكون أنثى ساء حالها.

...

...

تدخل الركح من جهته اليسرى بخطوات رشيقة؛ ليست بطيئة وليست سريعة تماما، إنها بين هذه وتلك، بها تثاقل لا يخلو من حدة طفيفة، والجسد بكامله يهتز بمكر وبراءة ودلال. هل نسميها مشية المهرة..!؟

حرية، تحفز.. وانطلاق مبهر ينبع من الروح.

يميل الرأس قليلا إلى الخلف فيما تظل النظرة موجهة إلى الجمهور.

ويميل الرأس ثانية ثم ينتصب، واليدان تواصلان التلويح بمنديلين أبيضين. وفي نقطة معلومة تتوقف عن التقدم لكنها لا تتوقف عن المشي والتلويح والابتسام والميلان.. ثم تقابل الجمهور بكامل ما لديها من لين حاد وابتهاج منذور مفرط.. معلنة بداية الرقصة على إيقاع البندير والغايطة.

يمناها مثبتة على خصرها ويسراها مفتوحة تلامس صدغها كأنها تؤدي سلاما من نوع خاص. تم تغير الوضعية بعد أن تؤدي بجانبي ردفيها غمزتين كاملتين وثالثة تنهيها فجأة ليكون خصرها مهيأ لاستقبال يسراها بينما اليمنى تأخذ مكانها على جانب الرأس، فيما العينان تتحركان أفقيا لتحاكيا وسطها. وهكذا تتم الحركة التناوبية؛

واحد: يد هنا.. يد هناك. اثنان: موجتان ونصف موجة في وسط الجسم، ثلاث: القدمان تتقافزان بالتناوب. ولا مرجع في هذه الحركة إلا ضربة البندير ونصف الغمزة الأخيرة بجانبي الردف.

ثم تأخذ هذه الحركة أشكالا أكثر حرية.

أولا: التلويح بالمنديلين أفقيا على مستوى البطن.. واحد، اثنان، والتلويحة الثالثة تكون مضاعفة.

جانبا الردفين يؤديان غمزتين كاملتين وثالثة تنتهي بحدة لا تخلو من لين مع ضربة البندير.

القدمان تتناوبان في النقر على الأرض.

ثانيا: الحركة تبقى على حالها مع زيادة خفيفة في الإيقاع، بينما اليدان تلوحان في الأعلى. وينتهي المقطع بتمويجة كاملة للمنديلين ليبدأ التنويع الموالي.

ثالثا: الحركة هنا تتجزأ: جانب أول ثم إدبار.. فجانب ثان ثم إقبال. وتبدأ بأن يتجه الجسد إلى الجهة الأخرى من المسرح. وهنا يكون جانب الراقصة إلى الجمهور، بينما اليدان في الأعلى تلوحان والخصر يهتز أمام / خلف.

بعدها يكون ظهر الراقصة إلى الجمهور.. الأرداف يمين/ شمال. ثم يكون الجانب الثاني من الراقصة إلى الجمهور في الجهة العكسية. وكل جزء ينتهي بضربة من البندير. وأخير تعود الراقصة إلى الوضع الأول، مقابلة للجمهور.

رابعا: رقص غير ممعن على الطريقة الشرقية تقريبا، باعتماد تمويج الخصر إلى اليسار.. اليسار.. اليسار.. وخطوات محسوبة عبر مسافة

قصيرة، ومع نقرة البندير تتحول الراقصة إلى التمويج ناحية اليمين.. يمين.. يمين والخطوات ذاتها المحسوبة.

خامسا.. سادسا.. وإلى ما لا نهاية.. إنه الرقص البوسعادي الذي يصعب على ملاحظ مثلي أن يصف تقنياته وأشكاله المختلفة. قد أكون مبالغا لو قلت أن هذا النوع من الرقص، على غرار (النايلي) لهو من أفضل الرقصات في العالم، لكنه يعاني التهميش وقلة الاهتمام وغياب سياسة واضحة تعمل على حماية الثقافة المحلية وتعليمها للجيل الجديد.

الاتحاد الأوروبي مثلية سياسية

...

...

الذبابة هي أضعف المخلوقات، ولأنّها كذلك، اختارت منذ البداية أن تنصَبَ خيمتها في أذن الوحش حتى تتفرّغ لأهمّ مشروع في حياتها؛ الطنين.

●

بينما ينهش فريسته وينكل بها، لا تظنوا أنه حاقد عليها، فتلك طبيعته الحيوانية؛ (الذئب)..

●

لا يمكن لذئب أن يفترس ضحيته بلطف وإلا... لا يكون ذئبا، وإذا فعل فهو ذهب مزيف.

ما الفرق بين دونالد ترامب وباراك أوباما؟

كلاهما ذئب، سوى أن الثاني مزيف.

●

إذا خسرت هيلاري كلينتون في انتخابات الرئاسة الأمريكية، ستحدث أكبر موجة طلاق في العالم، وستصبح الحبيبات هن الزوجات الرسميات، أما زوجات النظام القائم فسيتم اعتبارهن من الفلول.. وهذا ينطبق أيضا على الأزواج. تذكروا أن لندن أعلنت طلاقها مبكرا.

الزوجات التعيسات يعتمدن على كلينتون لرد اعتبارهن، بفوزها،

لكن المسكينة ستخسر ويزداد وزنها وتظهر تلك الدوالي اللعينة على ساقيها وقد تفكر خلال الحلقة الأخيرة، في أداء مناسك الحج. لا يمكن أن يظل العالم ضحية بؤس سيدة تريد إحصاء الجميع للتغطية على فشلها في السرير.

سحقا لها والمجد لمونيكا لوينسكي.

●

لا مصلحة لأحد في الكشف عن ملابسات القضية؛ هكذا اتفق الذئب والفريسة، فلينصرف الجميع لخدمة البلادة والبلاد.

●

دائما يتضح من التحقيقات وشهادات المقربين، أن الانتحاري سالف الذكر؛ كان لطيفا للغاية مع الجيران، وكانت لديه أفكار بناءة. ويقال ـ عادة ـ أنه ذات مرة شاهد قطا يتيما فذرف عيناه دموعا غزيرة. وكان يأسف إذا رأى في نشرة الأخبار أطفالا يتعذبون. وكان يضع حقولا من الأزهار ـ على صفحته، بالفيسبوك ـ وهكتارات من الحكم النبيلة، لكنه أصبح فجأة متطرفا.. وقام في آخر الأمر بعملية انتحارية نسف بها جميع الأفكار البناءة والقطط اليتامى وتسبب في موت العديد من الأطفال وأحرق جميع الأزهار والحكم النبيلة.

هل ذكرت التحقيقات وشهادات المقربين أنه كان عميقا وغامضا..!؟

●

عندما نطالب بحقوق توفرها أنظمة علمانية يقال لنا: (نحن في دولة إسلامية)، وعندما نطالب بحقوق توفرها أنظمة إسلامية يقال لنا: (نحن في دولة علمانية)..

حلمي الأكبر أن أحصل على قطيع ماعز
أرعاه ضواحي بلدتي.

...

أنت تبكي لأنك قوي، وهؤلاء يطلقون ضحكاتهم الهستيرية الفجة، لأنهم عن عاجزون البكاء، عاجزون عن ارتكاب الصدق.

سيهاك في مآقيك من أثر الحب، فابكِ.. ابكِ.. حتى تقضي على أحقادهم وتزيل وباءاتهم وسفاهاتهم وبشاعاتهم.

أنت العاشق الحقيقي، أنت الشاعر الثائر المهاجر الفاتح... وما هم إلا خلاصة الزيف يمشي على الأرض.

يريدون أن يبكوا لكنهم لا يستطيعون؛ إنهم يشعرون بخجل عميق لأنهم ليسوا هم، وليس فيهم ما يدل عليهم.

هم خطأ في حق أنفسهم، قبل أن يكونوا خطأ في حقك وحقنا، هم فضيحة ببدلات رسمية وربطات عنق وكراسي دوارّة...

لطالما أرادوا أن يكونوا أنت، لكنهم فشلوا. وعندما فشلوا أرادوا أن يتشبهوا بك، ففشلوا مرة أخرى، ثم أرادوا أن يُلغوك، أن ينكّلوا بك، ليحصلوا على نوع من التعويض عن إحساسهم بالفقد؛ فقد أنفسهم.

إنهم يذهبون كل يوم، إلى بيوتهم ومكاتبهم ونواديهم، متخفّين وراء

وجوه مستعارة وملامح فُرضت عليهم، مثقلين بزوائد وإضافات، إنْ هَمّوا بالتّخلص منها خسروا وجودهم. إنهم يغيرون كل لحظة جلودهم، ويطلبون عطلا طويلة في مكان لا يعرفهم فيه أحد ولا تتذكرهم فيه ذواتهم المزمنة. لكن الأماكن جميعها تنفر منهم وتلعنهم وتصرخ في وجوههم أن اغربوا إلى أبد الآبدين، والأزمنة جميعها تلفظهم وتودّ لو تلسعهم بعقارب ساعاتها.

سيماك على خديك من أثر الحب.. فاحْضنْ براعمك وانْكساراتك وسرْ.

طريقك في خطاك والمسافات تجري في دمك، فامشِ وحيدا وعشْ وحيدا ومتْ وحيدا.. وادخلْ جنتك التي وعدتَ بها نفسك وحيدا.



هذا الكتاب

كيف يمكن قراءة رجل يمشي إلى امرأة على أهدابه بعدما لم يعد بوسعه أن يؤمن بشيء كإيمانه بها؛ حيث يفيض الحب وينجز كتاب الحرية بسخاء..!؟
يجب استعارة حواس أخرى لفهم ما يقوله مغازي الذي لامس بجرح الكتابة، ما لم يقدر الآخرون على الاقتراب منه ورؤيته..

نصيرة محمدي؛ شاعرة، إعلامية وأكاديمية (الجزائر)

لم أتوقع أن جزائريا يكتب بلغة البهاء عن المرأة.. مغازي فعلَ ذلك بعمق، دون الحاجة أن يكون متزلفا للبلاغة..
في هذا الكتاب نصوص تؤثث للحياة..

حكيمة صبايحي؛ كاتبة وأستاذة جامعية (الجزائر)

تستعيد اللغة عافيتها ببساطة وعمق شاعر ينتصر للمرأة عبر إيقاع الحب؛ لا مساحيق ولا شعارات نسوية..
كتاب يحتفي بالخصوبة ويرى في المرأة روح هذا الكون..

لبنى نعمان؛ مغنية وممثلة (تونس)..

